الترجمة العربيـة

لمخطوط يشوع العمودى

تاريـخ أيام المحنـة الـتى حلت
بالرها وآمد وجميـع ما بين النهـرين
فى أواخر القرن الخامس وأوائل السادس الميلادى

* * *

للدكتورة زاكية محمد رشدى
الأستـاذة المساعدة بكلية الآداب — جامعة القاهرة

مقـــدمة

كان الراهب يشوع العمودى — من أصحاب الطبيعة الواحدة — من أهم مؤرخى السريان . عاش فى أواخر القرن الخامس الميلادى وأوائل السادس . ولا نعرف عنه إلا أنه كان ينتمى إلى دير زيقونين بجوار آمد ، ثم أقام فى بداية القرن السادس فى الرها . وقد كان يسمى يشوع العمودى نظرا للمذهب الذى اتبعه فى مستهل حياته وهو الزهد والتقشف والبعد عن مباهج الدنيا والتعبد فوق عامود .

سجل يشوع تاريخه هذا سنة ٥٠٧ ميلادية أى بعد انتهاء الحروب التى دارت بين الفرس والروم مباشرة . وقد بدأ الكتاب باهداء طويل إلى رئيس الدير سرجيس نزولا على رغبته وتلبية لطلبه مع أنه لم يكن يعرف معرفة جيدة مع من يتراسل ولم يشاهده سوى مرة واحدة إلا أنه كان يكن له احتراما ويقدره كل التقدير ، وكان يعتبر مطالبه وكأنها أوامر ومن الجرأة ألا يخضع لها .

ثم اتبع الإهداء بتلخيص مقتضب للحوادث التى وقعت بعد وفاة يوليانوس أى فى أواخر القرن الرابع سنة ٣٦٣م والتى كانت أسبابا ومقدمات للأحداث والحروب التى وقعت بعد ذلك فى القرنين الخامس والسادس الميلاديين . ثم تعرض الكاتب — بعد هذه التقدمة — بشكل أوسع لعهد فيروز (٤٥٧ — ٤٨٤م) وبلاش

(٤٨٤ — ٤٨٨ م) ملكى الفرس . ثم اتبع ذلك كله بموضوع الكتاب وهو عن تاريخ العلاقات المضطربة بين الأمبراطوريتين الفارسية والبيزنطية من ٥٠٢ — ٥٠٦م . وهو فى هذا كله يصف ويوضح المصائب العديدة التى حلت ببلاده نتيجة لتلك الحروب .

يعتبر كتاب يشوع هذا واحدا من أعظم مصادر المعلومات عن هذه الحقبة من التاريخ الفارسى والبيزنطى ، ولعل مما يعطيه قيمة أكثر أنه لم يكن مجرد سرد حكاية عن الأحداث التى أرخها كل الكتاب الذين سبقوه بل أنه يقارب كثيرا تاريخ زكريا أسقف ملطية لأنه كتب بواسطة كاتب عاش على مسرح الحرب واستطاع أن يصور بقلمه الحوادث التى يتكلم عنها . فقد عاش يشوع وسط الجيوش الفارسية والرومانية وشاهد معاركهم وتابع عملياتهم ، وشاهد خسائرهم وتقاسم معهم آلامهم حتى ما لم يشاهده بنفسه استطاع أن يعثر عليه جيدا بواسطة الكتاب الذين شاهدوا هذه المآسى . وعلاوة على ذلك فإن أغلبية الحوادث التى وقعت كانت فى بلده، وعلى الأرض التى كانت معروفة له جيدا ، والتى كان لديه بالنسبة لها اهتمام خاص من جانبه . والتفاصيل التى عرض لها تظهر جيدا أنه عاش وتحمل جميع المآسى والآلام التى كابدها وطنه فنجده يتحدث عن الأشخاص والأماكن والأشياء بدراية تامة . ومن هنا فإن أخباره عن العمليات الحربية تعطى تفصيلات وافية ذلك أن الكاتب كان أليفا للأماكن فقد كان يصاحب الجيوش ويصف خطواتها ولهذا فإن تاريخ يشوع له أهمية عظمى بالنسبة لهذا العصر ، وهو يكمل ويصحح جميع المصادر التاريخية الأخرى .

ونحن لن نجد تاريخا للأحداث التى مرت ببلاد ما بين النهرين أدق وأصدق من تاريخ هؤلاء السريان فتلك بلادهم ، وهم الذين اصطلوا بويلات الحروب وهم

الذين أرخوا لها ، وكل ما كتب العرب والفرنجة ما هو إلا ترجمة لمؤلفات هؤلاء السريان ومنهم مثلا الطبرى(١) وحمزة الأصفهانى(٢) .

إن عمل يشوع هذا لايبدو أنه عرف جيدا بين المسيحيين فى آسيا فإذا قارنا مختلف الروايات فيما بينها فإننا نجد أن المؤرخين اليونان :

كانوا هم أكثر المصادر مثل Evagre Zacharie .

شيوعا بين مؤرخى القرون الوسطى . وعلى سبيل المثال فان ابن العبرى قد اتبع زخارى أكثر من يشوع مع أن تاريخ يشوع يشتمل على صفحات أكثر قيمة من زخارى ، وسوف يجد القارىء أن بهذا الكتاب بعض التفصيلات القيمة للجغرافيا والتاريخ والسياسة واستراتيجية الفرس والروم . والصفحات الأخيرة لهذا الكتاب تشكل بلا شك واحداً من أحسن الأجزاء للمؤرخين السريان والمؤرخين الشرقيين .

وفى هذا المخطوط بعض الخصائص الجدرة بالاعتناء يمكن أن يقال أنها أهل لجذب الأنظار فمثلا علامات جمع المذكر والمؤنث غالبا محذوفة ، والانتقال من المذكر إلى المؤنث ومن المؤنث إلى المذكر فى الأفعال والضمائر والصفات غالب فيه . والضمائر غالبا ماتتحد بالفعل بعد حذف الحروف الضعيفة أو حروف المد . ونظام النقط وعلامات النبر منفذة بقليل من العناية . أما أخطاء الناسخ فقليلة ولكنها ليست خطيرة وليست من الكثرة بحيث تمنع الإفادة من المخطوط أن صححت .

---

(١) الطبرى : الجزء الثانى من الطبعة المصرية .

(٢) حمزة الأصفهانى فى الكتاب العاشر من تاريخه . بطرسبرج سنة ١٨٤٤ — ١٨٤٨ .

ولولا ديونيسيوس التلمحرى لضاع هذا التاريخ من الوجود إذ ضمه إلى مختصر تاريخه وعنه نشره رايت فى كتابة « تاريخ يشوع العمودى » كما نشره السمعانى فى مكتبته الشرقية المجلد الأول من ص٢٦٢ — ٢٨٣ ، ولم تظهر النسخة السريانية الكاملة لهـذا النص قبل سنة ١٨٧٦م حينما نشرها رئيس الدير بول مارتن لجمعية النشريات الألمانية . وقد أحضر موسى النصيبينى هذا المخطوط إلى دير النطرون فى سنة ٩٣٢م بعد زيارته بغداد ورحلته فى العراق .

وقد قمت بترجمة هـذا المخطوط عن النص الذى نشره رايت(١) وتوخيت فى ترجمتى هذه الدقة فجاءت ترجمة حرفية إلى حد مالالبس فيها ولا غموض ، واستعنت على ذلك بوضع بعض الـكلمات المفسرة للمعنى بين قوسين ، كما وضعت كل فقرة على حدة تحت رقمها الموجود فى الأصل حتى يسهل الرجوع إليه . ولاحظت فى المخطوط السريانى وجود بعض الأخطاء قمت باصلاحها ، وكنت أتمنى أن أقوم بنشر المخطوط الأصلى مبينة فى هوامشة هذه الإصلاحات وأصلهـا ، ولـكن عدم وجود حروف المطبعة السريانية فى الجمهورية العربية المتحـدة هو الذى قصر جهـدى عن نشره وربمـا يتسنى لى فى يوم ما أن أقوم بنشره ، وذكرت فى نهاية الترجمة الـكتب والمراجع التى تناولت الحديث عن يشوع العمودى وعن مخطوطه .

---

(1) W. wright, The chronicle of Joshua the stylite, cambridge 1882.

تاريخ ايام المحنة

التى حلت بالرها[1] وآمد[2] وجميع ما بين النهرين

I — استقبلت كتب قداستك يامحب الله ياسرجيس يا أفضل الرجال والقسس ورئيس الدير : تلك الكتب التى أمرتنى فيها أن أكتب لك كتذكرة ، أن متى جاء الجراد ، ومتى أظلمت الشمس ، ومتى حدث الزلزال والمجاعة والطاعون وحرب الروم (٣) والفرس . ومع هؤلاء كتبت مدائح كثيرة عنى تلك التى جعلتنى فى حياء كثير بينى وبين نفسى ، بينما لا يوجد — فى الواقع — منها واحدة عندى . والآن اكتب تلك (المدائح) التى (تليق) بك ، ولكن لن تستطيع بصيرتى أن تختبر أو ترى ثوب المعجزة — كما هو على حقيقته — الذى نسجته لك والبستك إياه إرادتك النافذة لأنه قد ظهر بوضوح أن قلبك يغلى بحب العدالة ، وذلك لعنايتك ليس فقط بالاخوان الذين تحت إشرافك فى هذا الزمن ، ولكن أيضا بكل محبى التعاليم المستعدين للدخول إلى هيكلك المبارك . وبواسطة هذه الخطابات تريد بعنايتك أن (تخلد ذكرى) ، العقوبات التى حدثت فى ازمنتنا بسبب خطايانا . فعندما يقرأ (الناس) ويرون ما حدث لنا يتجنبون خطايانا ، ويتخلصون من عقوباتنا ،وليعجب الإنسان من غزارة حبك الذى يفيض على كل الناس فهو ليس بناقص ولا نهاية له ، ولا استطيع أن أصفه كما هو إذ لم ألمسه بنفسى ، وكذلك لا استطيع أن اقص عنه من تجربة واحدة معك .

---

(١) مدينه بالجزيرة بين الموصل والشام ويطلق عليها اليونان أود سيا وتدعى الآن إورفة.

(٢) وتدعى الآن ديار بكر .

(٣) وكان السريان والعرب يطلقون هذه التسمية وهى الروم على اليونان البيزنطيين .

II — وقد ارتبطت عندى بالحب مثل يوناثان المحب الصديق، ولم تكن تلك كبيرة مثل هذه . فتلك نفس يوناثان قد ارتبطت بنفس داود عندما رأى أن رجلا جباراً (جوليات) قتل بيديه وأن معسكرا انهزم ، فهو قد أحبه بسبب هذه الحسنات . ولكنك احببتنى أكثر من نفسك ، وأنت لم تر فى شيئاً جميلا . لم يكن عجباً إنقاذ يوناثان لداود من الموت على يدى شاؤل إذا قورن بإنقاذك لأنه كافأه بشىء كان (دينا) عليه . فقد خلصه أولا من الموت ووهب له الحياة هو وجميع بيت أبيه حتى لا يموتوا بيدى الفلسطى (جوليات) ولو أن مثل تلك الأعمال لم تعمل منى لك ، إلا أنك تقوم فى كل وقت شفيعا عند الله دونى ، لأتخلص من الشيطان حتى لا يقتلنى بالخطايا . ولكن هكذا يجب أن يقال ، أنك أحببتنى محبة داود لشاءول ، وهكذا أنت نشوان بكثرة محبتك حتى أنك من غليان حبك لست تعرف حتى أى هو مقدارى ولكنك تظن أن فى أشياء هى بعيدة عنى ففى الماضى كنت تمد نفعى بالتعلم الذى كانت تحتويه خطاباتك، وهكذا كنت مهتما بى على مثال الآباء الذين لا يتمتعون بشىء من أبنائهم ولكنهم يهتمون بالأشياء التى يطلبونها منهم . أما اليوم فأنك بحصافتك قد تواضعت ، وطلبت منى أن اكتب لك عن أشياء تفوق قدرتى ، وأنت تريد أن تعرفها منى ، وأنا لا أستطيع أن أعتذر عن رجائك وأنى مطيع لكل ما أمرت .

III — أما الآن فاعلم ، أنى عندما رأيت تلك العلامات التى حدثت والعقوبات التى وقعت بعدها ، فكرت أنها تستحق أن تقيد وأن تحفظ فى سجل وألا تترك للنسيان ، ولما رأيت ضعف ذاكرتى وجهالة نفسى تجنبت ذلك. أما الآن وقد أمرتنى أن أفعل هذا فانى فى خوف من ذلك كرجل لا يعرف العوم جيداً، وقد أمر أن ينزل إلى عمق المياه وأنى لمعتمد على صلواتك المعينة التى ترسلها دائما إلى الله عنى . وأنى

لموقن أن سيحفظنى من الغرق ، وسأنزل ألى الم الذى القينى فيه ما دمت ساعوم فى ضحله على قدر استطاعتى لأن أعماقه لا تـكتشف . فمن الذى يستطيع أن يقص كما يجب عن تلك (الآيات) التى عملها الله بحكمته لإبطال الخطايا ومحو الآثام . فان حقيقية الفعل الإلهى قد خفيت حتى على الملائـكة . وتستطيع أن تعرف هذا من مثال الزوان الموجود فى الإنجيل(١) فلما قال العبيد لرب البيت أتريد أن نذهب لنجمعه قال لهم العارف بالأشياء على حقيقتها أن لا لئلا تقلعوا الحنطة معه وأنتم تجمعون الزوان ، فنحن نقول هذا بالنسبةلعلمنا فإنه لـكثرة خطايانا استمر تأديبنا ولولا أن عناية الله تحيط بالعالم كله حتى لا يفنى لـكان من المحتمل أن تتلاشى حياة جميع الناس ولم يحدث بأى من الأيام كرب شديد الوطأة كهذا الذى حدث فى هذه الأيام التى نعيش فيها ، ولأن أسبابه لم تزل فإنه هو أيضا لم يزل . ومع ما رأينا بعيوننا وسمعنا بآذاننا وفيه نعيش ازعجتنا أخبار من قرب ومن بعد ، والفظائع التى حدثت هنا وهناك . زلازل قوية تقلب المـدن ، ومجاعات ، وطاعون وحروب ، واضطرابات وسبي وإجلاء مقاطعات ، وتهديم كنائس واحراقها . ولما كانت هـذه الأشياء ، قـد أدهشتك بكثرتها فقد أرسلت إلى أن اكتبها فى كلمات حزن وألم يتعجب لها القارئون والسامعون . وأعلم أنك قلت هذا من غيرتك على الأشياء الجميلة حتى يندم الذين يسمعونها فيقتربون من التوبة .

٤ — ولـكن أعلم أنه شيء واحد للرجل لـكى يـكتب بحزن وشيء آخر (ليـكتب) بحق فان أى رجل منح الفصاحة يستطيع — إذا أراد — أن يكتب قصصاً حزينه كثيبة .

ولـكننى رجل واضح فى الـكلام . وأنا اسجل فى هذا الـكتاب هذه الأشياء

(١) متى ١٣ : ٢٤ — والزوان نوع من الحبوب

التى يقرر عنها جميـــع الناس فى أقليمنا أنها الحقيقة . وتـكون للذين يقرأون أو يسمعون إذا اختبروها ــ إذا أرادوا ــ أن يطلبوا الغفران . ولـكن ربما يقول إنسان ما الفائدة التى تعود على من يقرأ هذه الأشياء، إذا لم يختلط التحذير بهذه الـكلمات وأنا من جانبي كواحـد لا يستطيع أن يفعل هذا ، أقول أنه يكفي هذه العقوبات التى حلت بنا أن تـكون رادعة لنا ولمن بعدنا وتعلمنا بتذكرتها وقراءتها أنها حلت بنا بسبب خطايانا ، وإذا لم تعلمنا هذا فإنها تـكون عديمة القيمة، ولـكن هذا لا يقال لأن التعليم عادة يعلمنا النظام ومن أجل خطايانا حلت بنا (الـكوارث) ، وكل المؤمنين تحت السماء يشهدون (بذلك) طبقا لـكلام الطيب بولس الذى يقول(١): «ولـكن إذ قد حـكم علينا نؤدب من الرب لـكى لا ندان مع العالم» ، لأن كل أعمال الناس يعاقب عليها فى هذا العالم لـكى يبتعدوا عن خطاياهم وتـكون محتملة إذا حم القضاء ، وبالنسبة لهؤلاء الذين عوقبوا بسبب الخطاه ،ولو أنهم هم لم يكونوا خاطئين فسوف تزاد حسناتهم إلى الضعف . ولـكن هناك رحمة فى كل وقت حتى لهؤلاء الذين لا يستحقون، من أجل رحمة وعطف وتحمل الإله ــ الذى يريد أن يظل هذا العالم ــ يجب أن يبقى حتى ذلك الوقت المحدد فى علمه بدون خطأ . وأن هـــذه الأشياء واضحة من شـواهد الـكتب المقدسة ومن تلك (الأشياء) التى تجمعت لدينا والتى نعزم على كتابتها .

٥ ــ ها قد قاسينا شدة المجاعة والطاعون فى زمن الجراد حتى أوشكنا على الدمار ولـكن رحمنا الله ، بينما نحن لا نستحق ، ووهبنا قليلا من الراحة من المصائب التى كتبت علينا ، وهذا كما قلت من أجل طيبته ، ولـكنه قد بدل عذابنا من

---

(١) رسالة بولس الرسول إلى أهل كورنثه اصحاح ١١ آية ٣٥

بعد أن تنفسنا وضربنا بيدى الاثورى (١) الذى دعى سوط الغضب ، وأنا لا أستطيع أن أنفى أرادة الفرس المطلقة (علينا) عندما أقول أن الله قد ضربنا بايديهم ، حتى ولا بعد الله — (استطيع) أن أقدم أى لوم على وقاحتهم ، بل على عكس ذلك ، فمن أجل خطايانا — لم يفرض عليهم (الفرس) أية عقوبة — قد سجلت أنه ضربنا بايديهم فارادة الشعب السىء تظهر بوضوح . ولهذا فهم لم يرحموا هؤلاء الذين خضعوا لهم لأنهم قد اعتادوا أن يفرضوا سلطانهم فرحين بالشر الذى يحيق بالناس . وقد عنفهم النبي على هذا وقال — لأنه قد تنبأ بخراب بابل — حسب قول الرب (٢) : « غضبت على شعبي الذى دنس وضيق وقد سلمتهم لك فى يدك ، وأنت لم تريهم أية رحمة » . وكذلك أسىء إلينا — بلا رحمة — كما تعودنا ، ولو أن سوط العذاب لم يصل أجسامنا . كما لم يستطيعوا أن يتسلطوا على مدينتنا ، لأنه من غير المستطاع أن يبطل وعد المسيح الذى وعد الملك المؤمن ابجر قائلا « سوف نبارك مدينتك ولن يتسلط عليها عدو أبدا » وذلك بسبب المؤمنين الذين سلبوا واسروا وقتلوا وابيدوا فى المدن الأخرى التى احتلت ، والذين كانوا كوحل الطرقات وذاقوا المآسى القليل . كل هؤلاء الذين تعلموا كيف يتألمون مع الذين تألموا ، أما الذين كانوا بعيدين عن هؤلاء فقد تعذبوا بالخوف على حياتهم لعدم ايمانهم ، إذ تصوروا أن العدو قد يسيطر على الرها كما (فعل) فى المدن الآخرى التى سوف اكتب لك عنها فيما بعد .

٦ — فمن أجل كلمة سليمان الحكيم (٣) «نشبت الحرب بسبب السياسة» فأنت

(١) أشعيا : أصحاح ١٠ آية ٥ .
(٢) أشعيا : ٤٧ : ٦
(٣) الأمثال ٢٤ : ٦

تريد أن تعرف ماهى أسباب السخط ، واريد أن أعرفك باختصار من اين جاءت الأسباب مع أنه قد يظن انى اتكلم عن أشياء قد مضى زمنها . فبعد قليل سوف أخبرك منذ متى قويت هذه الأسباب . فبالرغم من أن الحرب قد شنت علينا بسبب خطايانا إلا أنه من أجل أشياء واضحة نشأ السبب . تلك هى التى اريد أن اقصها عليك ، لكى تستطيع أن تكون على علم بهذا الموضوع ولا تنساق وراء الاغبياء فتلوم صاحب السلطان الملك المؤمن انستاس لأنه لم يكن هو السبب فى الحرب ، ولكن منذ زمن بعيد كان السخط عليه كما ستجد أنت من الايضاحات التى سأكتبها لك .

٧ — فى سنة ٦٠٩ (٢٩٧/٨ م) (١) استولى الروم على مدينة نصيبين (٢) وكانت تحت سلطانهم خمسا وستين سنة . وبعد موت يوليانوس — الذى مات بفارس فى سنة ٦٧٤ — ملك على الروم يوفينيانوس الذى وقر السلام على كل شىء ، ولهذا جعل الفرس يتسلطون على نصيبين مدة مائة وعشرين سنة ، ثم يعيدونها إلى اصحابها بعد ذلك . وانتهت هذه (السنوات) فى أيام زينون (٣) ملك الروم . ولم يقبل الفرس إعادة المدينة فأثار هذا الامر النزاع .

---

(١) يبدأ تاريخ الاسكندر أو تاريخ اليونان باكتوبر سنة ٣١٢ ميلادية .

(٢) نصيبين : بفتح النون وكسر الصاد المهمله وسكون المثناه من تحتها ثم باء موحده وياء ثانيه ونون وهى مدينة من ديار ربيعه من الجزيرة على طرق القوافل من الموصل إلى الشام وفى شماليها جبل عظيم يقال أنه الجودى الذى أستقرت عليه سفينة نوح عليه السلام منه ينزل نهرها حتى يمر على سورها وعليه بساتينها ، ونهرها يسمى الهرماس .

(القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ ص٣٢٢) و (ياقوت : معجم البلدان ج٤ ص٧٨٧)

(٣) ملك على الروم بعد لاون الكبير ثمانى عشرة سنة .

٨ — وقامت معاهدة بين الروم والفرس على أنه إذا احتاج أحدهما إلى صاحبه ـ إذا نشبت الحرب بينهما وبين واحدة من الأمم ـ أن يساعد أحدهما الأخر بأن يعطيه ثلاثمائه رجل قوى مع سلاحهم وخيلهم أو أن (يعطيه) ثلاثمائة شاقل بدل كل رجل وذلك تبعا لرغبة الجانب المحتاج . ولم يحتج الروم بعون الله سيد الكل إلى مساعدة الفرس وقام الملوك المؤمنون بالملك منذ هذا الزمان حتى الآن . وتقوى سلطانهم بعون من السماء أما الفرس فارسلوا رسلا ليأخذوا ذهبا من أجل حاجتهم ، ولم يأخذوها بحسبانها جزيه كما توهم الكثيرون .

٩ — وفى أيامنا حمل فيروز (١) ملك الفرس ذهبا من الروم مرات كثيرة من أجل الحرب التى وقعت بينه وبين الكوشيين وهم الهونيون . ولم يكن لطلب الضريبة ولكن أثارة لحميتهم لكى يقوموا بالحرب بدلا عنهم حتى لايعبروا إلى بلادكم . والذى أظهر صدق طلبه هو الخراب والسبى الذى عمله الهونيون بين الروم سنة ٧٠٧ أيام الملوك انوريس وأرقديس ابناء تاودوسيوس الكبير (٢) . وقد سلمت لهم كل سوريا بواسطة خداع روفينا الحاكم وضعف أدى القائد .

---

(١) عن فيروز : أنظر تاريخ الفرس والعرب عن تاريخ الساسانيين وهو مترجم عن الطبرى ص ١١٧ والهامش رقم ٢ . وهو فيروز بن يزد جرد ملك بعد أخيه هرمز سبعا وعشرين سنة .

(٢) تاودوسيوس ويقال إنه «طودوشيوس» ملك سنة ٦٩٠ من ملك الاسكندر فأقام سبع عشرة سنة ، وفى الخامسة عشرة من ملكه ظهر أهل الكهف وأفاقوا من نومهم ، فأرسل فى طلبهم فوجدهم قد ماتوا فأمر أن تبنى عليهم كنيسة ويتخذ يوم ظهورهم عيدا . وفى أيامه كان المجمع بقسطنطينيه لمائتين وخمسين سنة من مجمع نيقية (القلقشندى : صبح الأعشى ج١ ص ٣٩٣)

١٠ — وبمساعدة الذهب الذي قبله فيروز من الروم استعبد الهونيين واستولى على أماكن كثيرة من بلادهم ووسع بها ملكه ، ولكنهم أسروه فى آخر الأمر ، ولما سمع زيثون ملك الروم ذلك أرسل ذهبا من عنده وخلصه وصالحه معهم ، وأقام فيروز للهونيين معاهدة ألا يعبر عليهم بعد ذلك حدود مملكتهم للحرب . ثم عاد فنقض معاهدته على مثال صدقيا إذ ذهب للقتال فوقع مثله فى ايدى اعدائه . وابيد كل جيشه وشتت واخذ حيا ، ووعد — بخيلاء — أن يعطى بدل خلاص حياته ثلاثين بغلا محملة زوازيا . وارسل إلى مكان سلطانه فجمعوا بالقوة عشرين حملا ولما كان قد انفق كل كنز الملك الذى قبله فى الحروب الأولى فقد وضع عندهم بدل هذه الاحمال العشرة الأخرى ابنه قباذ ضمانا ورهينة حتى يرسل لهم (الاحمال) وأقام معهم معاهدة للمرة الثانية ألا يحارب مرة أخرى .

١١ — ولما عاد إلى ملكه فرض ضريبة (١) على كل أرضه وأرسل عشرة احمال زوازيا (٢) وخلص ابنه ثم جمع له جيشا وذهب للحرب . وقد تحققت فيه بالفعل كلمة النبي الذى قال (٣) «قد رأيت الشرير عاتيا وارفا مثل شجرة شارقة ناضرة ، عبر فاذا هو ليس بموجود والتمسته فلم يوجد » فحينما وقعت الحرب والتحم الجيشان ابيدت كل قوته وبحث عنه ولم يوجد ، ولايعرف ماذا كان من امره حتى يومنا هذا أن كان قد طمر تحت اشلاء القتلى أو أن كان قد قذف بنفسه (فى اليم) أو أن كان قد كمن فى تراب الأرض وهلك جوعا ، أو أن كان قد اختبأ فى الغابة واكلته الحيوانات .

---

(١) ضريبة النفوس والأعناق .
(٢) دراهم أو دراخمات .
(٣) المزامير ٣٧ : ٣٥ ، ٣٦

١٢ — وفى أيام فيروز اضطرب أيضاً ملك الروم ، وكان رجال البلاط يكرهون الملك زينون لأنه كان فى جنسه اشوريا . وتمرد عليه بسيليقوس وملك بدله . وبعد ذلك تقوى زينون واستقر على مملكته . ولأنه جرب بعض الكثيرين نحوه أقام فى بلده حصناً منيعاً حتى إذا حدث له شىء من الشر يكون له ملجأ . وكان له فى هذا السر شريك وهو قائد أنطاكية (٢) الذى كان يسمى الوس وكان اسوريا . وقد اعتاد (الملك زينون) أن يعطى كل واحد من أبناء شعبه مراتب الشرف والسلطان . ومن أجل هذا اعتقد بعض الروم له .

١٣ — فلما أنجز الحصن بكل ما أراده ووضع به الوس ذهباً كثيراً بغير حساب، جاء إلى عاصمته لكى يخبر زينون أن قد أنجز رغبته . ولما كان زينون يعلم أنه خائن ويطمع فى الملك أمر أحد أتباعه بأن يقتله . ومرت أيام كثيرة يتطلع فيها الذى صدر اليه الأمر إلى فرصة لقتله فى الخفاء ولكنه لم يستطع ، ثم التقى بالوس داخل القصر فاستل سيفه ورفعه ليضربه وفى الحال ضربه أحد أتباع الوس المقربين بسكين فى ذراعه فسقط السيف من يده فقطع أذن الوس . وفى الحال أمر زينون — حتى

---

(٢) مدينة عظيمة غربى حلب بشمال يسير على نحو مرحلتين منها . وهى قاعدة بلاد العواصم وهى على ساحل بحر الروم بناها بطليموس الثانى من ملوك اليونان ، وقيل بناها ملك يقال له أنطاكين فعرفت به . ولها سور عظيم من صخر ليس له نظير فى الدنيا مساحة دوره اثنا عشر ميلا ، عدد شرفاته أربع وعشرون ألفاً وعدد أبراجه مائة وستة وثلاثون برجاً ، وهى أنزه بلاد الشام بعد دمشق . وهى أحد كراسى بطاركة النصارى ، ولها عندهم قدر عظيم . وقد قيل فى قوله تعالى « وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين » انها أنطاكية وأن ذلك الرجل « حبيب النجار » وقبره بها مشهور يزار .

(المرجع السابق : ج ٤ ص ١٢٩) .

لاتشيع خيانته تجاه الوس — بهذا التابع فقطعت رأسه بغير سؤال. وقد جعل ذلك الوس يعتقد كثيراً أن زينون هو الذى أمره . فقام ورحل من هناك ونزل أنطاكية . وقد قرر فى ذلك الوقت أن تكون له مكانا يأخذ فيه بالثأر .

١٤ — ولما كان زينون يخاف من الوس لعلمه بشره أرسل اليه رجالا مهرة إلى أنطاكية وأرسل له أن يصعد اليه ليؤكد له أن هذه الخيانة ليست من عنده وأنه لايريد قتله ، ولكنه لم يستطع إلا أنه عقل ألوس الجامد الذى احتقره ولم يرد أن يسمع لأمره ويذهب اليه وأخيراً أرسل زينون اليه قائدا آخر اسمه لونطيوس مع جيش تحت امرته وأمره بأن يصعده اليه بالقوة ، فان قام ضده فليقتله . فلما أتى (لونطيوس) أنطاكية تغير بذهب من الوس ، وأظهره على أمر القتل الذى أعطى له . فلما رأى الوس أنه لم يخف عنه شيئاً أطلعه على الذهب الكثير الذى تحت يده والذى من أجله يريد زينون أن يقتله . وحرص لونطيوس على أن يتشبه به ويتمرد معه . كما اطلعه على كره الروم لزينون . فلما اقتنع هذا استطاع الوس أن يكشف عن رغبته فهو لايستطيع أن يتمرد وحده كما (لايستطيع) أن يملك نفسه لأن الروم يكرهونه أيضاً من أجل أسرته ومن أجل عقله الجامد .

١٥ — عندئذ ملك لونطيوس بانطاكيه اسما إذ كان الوس هو مدبر الأمور — كما قال بعضهم — كما دبر قتل لونطيوس إذا تغلبوا على زينون . وكان يصاحبهم رجل داهية غير مخاص اسمه فنفرفيس وهو الذى أفسد كل أمورهم ثم عاد بالخداع . ولكى يستقر لهم الملك أرسلوا رسلا إلى الفرس مع ذهب كثير لكى يقيموا معهم معاهدة صداقة : إن طلبوا جيشاً للمساعدة يرسل لهم . ولما سمع زينون بما حدث فى أنطاكيه أرسل إلى هناك أحد قواده واسمه يوحنان مع جيش كبير .

١٦ — فلما سمع أنصار الوس ولونطيوس بالجيش الكبير الذى جاء عليهم هلعت قلوبهم وخاف الانطاكيون كذلك ألا يستطيعوا تحمل الحصار وصرخوا عليهم أن يخرجوا لهم من المدينة إذا استطاعوا ملاقاة الحرب . وقد أزعج هذا أنصار الوس

كثيراً وفكروا أن يخرجوا لهم من أنطاكية وأن يعبروا نهر الفرات إلى الشرق . وأرسلوا رجلا من عندهم اسمه مطرونينا(١) مع خمسمائة فارس ليمهدلهم إنشاء ملك في الرها. ولكن الرهاويين قاموا ضده وأغلقوا أبواب المدينة وحرسوا السور بأسلوب الحرب ، ولم يمكنوه من الدخول .

١٧ — ولما سمع أنصار الوس هذا اضطروا إلى ملاقاة يوحنان في الحرب ، ولم يستطيعوا (أن يتغلبوا) بهذا الجيش لأن يوحنان سقط عليهم بقوة وأفنى أكثر الجيش الذى معهم وأخيراً تفرق الباقون كل إلى بلده . ولأن هؤلاء لم يستطيعوا تحمل بطشه ساقوا من بقى عندهم والتجأوا إلى هذا الحصن الذى قلت عنه قبلا لأنه كان منيعاً ومزودا بكل شيء . وتبعهم يوحنان ولم يدركهم . وعسكر حول الحصن وراقبهم ، فلما وثق هؤلاء من مناعته سمحوا لجيشهم بالانصراف تاركين عندهم المختارين والشجعان فقط . أما يوحنان فقد أطفأ غضبه بهؤلاء الذين نزلوا من الحصن . ولكنه لم يستطع أن يؤذى أنصار الووس بشيء بسبب صعوبة طبيعة مكان الحصن ولأنه كان محصنا بفعل الأيدى العجيبة ، ولم يكن له إلا طريق واحد للصعود اليه . ذلك الطريق الذى لا يمكن لاثنين أن يصعدا عليه معا لضيقه . وبعد زمن طويل لما استنفذ يوحنان كل حيله ، حدثت خديعة ضد أنصار الوس من الذين معهم فقيدوا وهم نائمون . وقتل الاثنان بأمر زينون مع هؤلاء الذين تبعوهم وقطعت أيدى كل من معهم . وهكذا كان الاضطراب في بلاد الروم أيام فيروز .

---

(١) أنظر المكتبة الشرقية ج ١ ص ٢٦٦ ع ١٠ ، حيث يكتبها السمعانى ويكتبها رايت .

١٨ — وبعد أن بعد أن طلب فيروز ولم يوجد — كما كتبت لك من قبل — ملك أخوه بلاش(١) على الفرس. وكان رجلا متواضعا ومحباً للسلام. ولم يجد شيئاً فى خزينة الفرس فقد خربت بلده من سبى الهونيين. فلا يغيب عن حكمتك كم من المصروفات والنفقات يتكلف الملوك فى الحرب، حتى وأن كانوا منتصرين، وكم هى وهم مغلوبون. ولم يعط معونة من الروم من أى نوع كما أعطى أخوه. عندئذ أرسل رسلا إلى زينون يطلب منه مالا ولكن بسبب انشغاله فى الحرب ضد الوس ولونطيوس. ومن أجل أنه تذكر المال الذى أرسل منهم عند بدء ثورتهم تلك الثورة التى مازالت مستمرة فى فارس لم يرد أن يرسل له شيئاً ولكنه أرسل له: أن ضرائب نصيبين التى تسلمتها كافية لك وقد كانت منذ سنين بعيدة حقاً للروم.

١٩ — ولما لم يكن لدى بلاش مال ليحتفظ بفرسانه حقر فى اعينهم، كذلك كرهه المجوس لانه حاول أن يبطل قوانينهم، وأراد أن يبنى حمامات فى المدن للاستحمام، وحينما رأوا أنه لايساوى شيئاً فى نظر فرسانه اخذوه وفقأوا عينيه وملكوا مكانه (٢) قباذ أبن أخى فيروز الذى ذكرنا أسمه من قبل والذى ترك كرهينه عند الهونيين، والذى كان السبب فى قيام الحرب مع الروم لأنهم لم يعطوه ذهباً. ولقد أرسل رسلا وفيلا كبيراً كهديه للملك حتى يرسل له ذهباً، وعندما وصل الرسول إلى أنطاكية فى سوريا مات زينون وملك بعده انستاس وحينما أخبر سفير الفرس سيده قباذ بهذا التغيير فى ملك الرومان أرسل إليه أن يذهب بسرعة ويطلب الذهب المعتاد أو أن يقول للملك أن يستعد للحرب.

٢٠ — وهكذا بدلا من الكلام عن السلام والتحيات — كما كان يجب أن يفعل — وعن الابتهاج معه على رياسة الدولة التى منحها له الله أثار حفيظة الملك

(١) بلاش بن فيروز ملك على الفرس أربع سنين ومات.

(٢) قباذ بن فيروز أخى بلاش ملك ثلاثا وأربعين سنه وفى أيامه ظهر مزدك الزنديق وأدعى النبوه ثم خلع (القلقشندى: صبح الاعشى حـ ٤ ص ٤١٦)

المؤمن انستاس بكلمات التهديد فلما سمع (انستاس) لغته المتبجحة وعلم عن سلوكه السيء ، وأنه أعاد تـكوين الطائفة البغيضة المجوسية التى تدعى الزرادشتيه (١) ـ التى تدعو إلى أن تكون المرأة مشاعة وأن كل واحد يستطيع أن يصادق مـــن تعجبه ـــ وأنه أساء إلى الارمينيين الذين كانوا تحت أمرته لأنهم لم يعبدوا النـار (فلما سمع ذلك) احتقره ولم يرسل له ذهبا ولـكن أرسل له قائلا . كما أن زينون الذى كان يحكم قبلى ـ لم يرسل كذلك أنا لن أرسل حتى تعيد الى نصيبين ، لان الحروب ليست بسيطة تلك التى سوف اشنها مع البرابرة الذين يدعون الالان ومع هؤلاء الذين يدعون بليميون (٢) ، ومع كثيرين آخرين ، ولن أهمل جيوش اليونانيين وأمدادى لك بالميره .

---

(١) كانت ديانه الفرس القدماء فى العصور السابقة على ظهور الأخمينيين واحدة من ديانات الهنود الأوربيين الوثنية الذين يعبدون قوى الطبيعة المختلفة مثل الشمس والقمر والأرض والنار والماء والريح وأعتبروا كلا منها إلها وكانوا يقدمون لها القرابين والأضاحى ويقوم بذلك طبقة من الـكهنه وهؤلاء هم المجوس (Magi) الذين كانوا يحتلون مكانه كبيرة فى المجتمع وكانوا يقومون بتفسير الأحلام للناس ويؤمن بهم العامة وبقوتهم الخارقة فى عمل السحر وإخراج الشياطين . وفى القرن السادس الميـلادى ظهر نبى أيرانى يسمى « زراثوشترا Zrathushatra أوزرادشت الذى ورد فى كتابات اليونان باسم Zaro-Aster . ونادى زرادشت بالتوحيد وهاجم الآلهة المتعددة هجوما عنيفا وكان اسم الهه الذى بشر به هو « أموراً مازدا » وترجمتها الحرفية السيد العاقل .

ومن المرجح أن الموطن الاصلى لزرادشت كان فى أرض الميديين ولـكن دعوته لم تنجح فى بلده فهاجر منه بحثا عن أمير أو حاكم يؤمن بما يدعو اليه ووجد ما أراده فى جهات إيران الشرقية كما يرجح أيضا أن يكون أبو الملك داراً الاول هو الأمير الذى أمن بالنبى الجديد وديانته وأصبح متحمسا لها وذلك عندما كان والياً على بلاد الفرسيين .

(٢) عنصر حبشى أو نيجيرى أعتاد الهجوم على مصر

٢١ — وحينما سمع الأرمينيون — الذين تحت حكم قباذ — أنه لم يتسلم (رداً) مسالما من الروم تشجعوا وقووا أنفسهم وهدموا معابد النار التى بناها الفرس فى بلدهم ، وقتلوا المجوس الذين كانوا بينهم . فارسل عليهم قباذ أحد المرازبة مع جيش ليعذبهم ويعيدهم إلى عبادة النار ولكنهم حاربوه وأبادوه هو وجيشه وأرسلوا رسلا إلى مملكتنا يطالبون أن يكونوا تحت حكمنا ، ولم نكن راغبين حتى لا يظن أننا نريد أشعال الحرب مع الفرس . فهؤلاء الذين يلومونه لأنه لم يعط الذهب عليهم أن يلوموا ذلك الذى يطلب بالعنف ماليس له لأنه لو طلبها سلميا أو بالاقناع لارسلت له ، ولكنه حجر فكره كفرعون وهدد بالحرب ولكنا نضع ثقتنا فى عدالة الله الذى سوف يصب عليه عقابا أكثر من الاخر بسبب القوانين النجسة لأنه أراد أن يدنس قانون الطبيعة ويبطل طريق مخافة الله .

٢٢ — وقد تمرد عليه بعد ذلك القادشيون (١) الذين كانوا تحت حكمه وأرادوا أن يدخلوا نصيبين ويملكون عليها ملكا من بينهم وحاربوها زمنا غير قصير. وقد تمرد عليه كذلك الطموريون الذين كانوا يسكنون أرض الفرس حينما رأوا أنهم لم ينالوا منه شيئاً واستقر هؤلاء على الجبال العالية التى يسكنون بها وكانوا ينزلون وينهبون ويسلبون القرى التى تحيط بهم، والتجار والأجانب والمواطنين ثم يصعدون ثانية كذلك كرهه نبلاء مملكته لأنه سمح لزوجاتهم بالزنا . وقدأقدم العرب (٢) — الذين كانوا تحت حكمه — على السلب كيفما سمحت لهم قوتهم بكل بلاد الفرس حينما رأوا فساد مملكته .

---

(١) كانوا يقطنون بجوار سنجار أو دارا . أنظر نولدكه فى المجلة الألمانية بودلين ص ١٥٧

(٢) فى النص « طى » وهى تشير إلى عرب قبيلة طيء وهى من أقوى القبائل فى شمال الجزيرة العربية .

٢٣ — وفى ذلك الوقت نشأت كذلك مشكلة أخرى بين الروم إذ ثار الأشوريون بعد موت زينون ضد الامبراطور أنستاس ، وأرادوا أن يولوا عليهم ملكا محبوباً لديهم ، وحينما سمع قباذ هذا توهم أن الفرصة مواتية له فأرسل رسلا إلى مملكة الروم متوهما أنهم سيخافون ويرسلون له ذهباً ، لأن الأشوريين قد تمردوا عليهم . وقد أرسل إليه الملك أنستاس : ان كنت تريدها كسلفة سأرسلها لك ولكن إذا اعتبرتها أمراً معتاداً فلن أتجاهل قوات الرومان التى تتقوى بحرب الأشوريين وأعطى مساعدة للفرس . بهذه الكلمات تواضعت نفس قباذ لأن حطته لم تنجح . وقد هزم الأشوريون وأبيدوا وقتلوا وهدمت وأحرقت كل مدنهم وقد دبر عظماء الفرس فى الخفاء لقتل قباذ بسبب أعماله الشريرة وقوانينه الفاسدة ، وحينما علم بذلك تنازل عن مملكته وهرب إلى الهونيين حيث الملك الذى تربى فى بلاطه حينما كان أسيراً .

٢٤ — وملك بعده على الفرس أخوه زمشف وتزوج قباذ إمرأة من بين الهونيين هى إبنة أخته وكانت أخته قد سبيت فى الحرب التى قتل فيها أبوه ولأنها إبنة ملك أصبحت من زوجات ملك الهونيين وأنجب منها إبنة . وحينما فر قباذ إلى هناك أعطوها له زوجة ولكونه زوج إبنة الملك كان يبكى أمامه كل يوم متوسلا إليه كى يعطيه جيشاً لمساعدته حتى يستطيع أن يذهب ويقتل العظماء ويستقر فى عرشه فأعطاه حموه جيشاً غير قليل تلبية لرغبته . وحينما وصل إلى أرض الفرس وسمع أخوه بذلك هرب من أمامه . أما هو فقد حقق رغبته وقتل العظماء ، وأرسل إلى الطموريين مهدداً إن لم يخضعوا له من تلقاء أنفسهم فسوف يهزمون فى الحرب ، أما إذا كانوا مساعدين له فسوف يدخلون معه بلاد الروم ، ومن السلب هناك يقسم عليهم كل شىء ليعوضهم ما أخذ منهم غشاً . فخاف هؤلاء من جيش الهونيين وخضعوا له . وحينما سمع القادشيون الذين كانوا معسكرين فى نصيبين خضعوا له كذلك . وقد تجمع العرب حوله بفرح عظيم عندما علموا أنه سوف يشن الحرب

ضد الروم . أما الأرمينيون — الذين كانوا خائفين من أن ينتقم منهم من أجل معابد النار التى خربوها فى الزمان الماضى — فلم يريدوا الاستماع له ، عندئذ جمع جيشاً وحاربهم ، وبالرغم من أنه كان أقوى منهم إلا أنه لم يبدهم ولكنه وعدهم بأنه لن يجبرهم على عبادة النار إذا عاونوه فى الحرب ضد الروم . وقد وافقوا مجبرين لأنهم كانوا خائفين . وسوف أخبرك بما فعله قباذ بعد ما تخطى تخوم الروم فى الوقت المناسب ولكن الآن كما أمرني سأكتب عن العلامات والعقوبات التى حدثت فى أيامها وعن الجراد والمجاعة والفقر . أما تلك الأشياء المتقدمة فسوف أعود إلى مناقشتها فى الوقت المناسب ولكيلا تكون الرواية غامضة سأتكلم عن السنوات منفصلة واحدة بعد الاخرى وتحت كل سنة سوف أذكر ماحدث بها وليكن الله عوناً لى بمساعدة صلواتك .

٢٥ — فى سنة ٨٠٦ (٤٩٤/٥ م) للاسكندر فيما يتعلق بسبب الحرب وكيف اشتعلت لقد أخبرتك عنها يا أبانا — على ما أظن — بما فيه الكفاية على الرغم من أننى كتبت هذه الروايات فى فصول مقتضبة لأنى كنت مهتما بأن أتحاشى الأسباب . وقد وجدت بعضها فى كتب قديمة والبعض الآخر علمته من مقابلتى لأناس كانوا سفراء لكلا الملكين ، ومن هؤلاء الذين كانوا حاضرين هذه الأحداث . ولكن الآن أريد أن أعرفك الأشياء التى حدثت عندنا لأنه مع تلك السنة بدأت الاضطهادات العنيفة والعلامات التى حدثت فى أيامنا .

٢٦ — فى هذا الوقت كانت أجسادنا سليمة ولكن الآلام والأمراض الروحية كانت كثيرة . أما الله — الذى يريد من الخاطئين أن يندموا على خطاياهم ويعيشوا — جعل أجسادنا وكأنها مرآة لنا تملأ أجسامنا كلها بالأحزان ، أى أنه أراد أن يظهر داخليتنا من مظهرنا الخارجى فربما نتعلم من جروح أجسادنا كيف هى بشاعة جروح أرواحنا ولما كان الناس كلهم قد أخطأوا وافقد ابتلوا كلهم بهذه الضربة لأنه

كانت هناك انتفاخات وأورام(١)فى كل سكان بلدنا . وتجمدت وجوه الكثيرين وامتلأت صديدا ومثلث منظرا بشعا وهناك آخرون امتلأت أجسامهم كلها بالدمامل والبثور حتى أذرعهم وأخمص أقدامهم بينما امتلأت أعضاء الآخرين بثقوب كبيرة . ولكن بلطف الله الذى حماهم لم يستمر الألم عند أحد وقتاً طويلا ، ولم يترك أثراً أو جرحاً فى الجسم . ولكن على الرغم من أن أضرار الأحزان كانت واضحة بعد الشفاء فإن الأعضاء حفظت فى حالة كى تؤدى واجباتها فى الجسم . وكانت تباع فى الرها فى ذلك الوقت ثلاثون مدا(٢) من الحنطة بدينار وخمسون للشعير.

٢٧ — فى سنة ٨٠٧ (٤٩٥/٦ م) فى السابع عشر من شهر أيار (مايو) من هــذه السنة حينما أرسلت البركات بغزارة من السماء على جميع الناس وزاد المحصــول ونزل المطر وكبرت فاكهة الأرض فى أوقاتها ، قطع معظم المواطنين الأمل فى نجاة أرواحهم لسيئاتهم الجلية ، ولانغماسهم فى جميع أنواع الملذات لم يقدموا حتى الشكر من أجل منح الرب . وفسدوا بأمراض الخطايا . ولما لم تكن الخطايا العلنية والسرية التى انغمسوا فيها كافية لهم فقد حضروا فى ذلك اليوم الذى يفوق الوصف — أعنى يوم الجمعة ليلة السبت ، حيث كان الراقص الذى كان يدعى تريميريوس(٣) يرقص — وأشعلوا المشاعل بغير عدد احتفالا بهذا العيد . وهى عادة لم تكن شائعة فى هــذا البلد من قبل ورتبوها على الأرض بجانب النهر (ديصان)(٤) من باب

---

(١) الكلمة السريانية تشير إلى المعنى خراجات .

(٢) المد ويقابله فى اللاتينية modius والدينار وهو عملة بيزنطية .

(٣) انظر كتالوج المخطوطات السريانية فى المتحف البريطانى ص٣٣٥ عمودا .

(٤) نهر ديصان أو قرة قريون وهو يجرى حول الجزء الشمالى من المدينة ولكن فى الزمن القديم كان يخترقها من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى متوازياً مع عين الخليل أو عين إبراهيم الجديدة .

المسرح(١) حتى باب الأقبية . ووضعوا على شاطئه مشاعل مضاءة وعلقوها على أكنة الأبواب ، وفى بهو المدينة وفى الأسواق العليا وفى أماكن أخرى كثيرة . ومن أجل ذلك الشر جاءت علامة عجيبة من الله لزجرهم ، فإن شارة الصليب التى كان يحملها تمثال الملك الطيب قونسطنطين فى يده بعدت عن يد التمثال حوالى ذراع . وظل هكذا طوال يوم الجمعة ويوم السبت حتى المساء . وفى يوم الأحد جاءت الشارة واقتربت من مكانها الأصلى بمحض إرادتها وأخذها التمثال فى يده كما كان يمسكها من قبل . من أجل هذه العلامة أدرك الحصيف أن ما عمله بعيد عن إرادة الله .

٢٨ — سنة ٨٠٨ (٧ / ٤٩٦ م) لم تكن تكف لنا هذه العلامة التى ذكرناها قبلا لتمنعنا عن اقتراف الآثام ، بل على العكس جعلتنا أكثر وقاحة وانغمسنا فى الخطايا — فإن الصغار افتروا على جيرانهم ، والكبار امتلئوا غروراً . وتسلط الحسد والخداع علينا جميعاً وكثر الزنا والفسق وانتشر طاعون الدمامل بكثرة بين الناس وفقئت أعين الكثيرين فى كل من المدينة والقرية . وقد حدثت غيرة كبيرة لمارقورس الأسقف . فحث أبناء المدينة على عمل محفة من فضة تعظيما لآنية القرابين التى سوف توضع به حينما يذهبون إلى الاحتفال بذكرى أحد الشهداء ، لذلك قدم كل واحد ما استطاعت يداه . أما أوطوخيانوس زوج أوريانا فقد كان أول من أظهر إرادة حسنة وأعطى من عنده مائة دينار .

٢٩ — وفى نهاية هذه السنة أبعد الحاكم أنستاس وحل مكانه الاسكندر ، فطهر أسواق المدينة من القذارة ، وأزال الأكشاك(٢) التى كانت قد بنيت للعمال فى

---

(١) وكان هذا المسرح على ما يبدو فى الجانب الشرقى من المدينة عند منابع ديصان .
(٢) وتؤدى هذه الكلمة فى العربية معنى مصطبة .

الأروقة والأسواق ووضع صندوقاً أمام قصره وجعل في بابه فتحة وكتب فوقه: كل من أراد أن يخبر بشيء وليس من السهل عليه أن يفعل ذلك صراحة يمكنه كتابته ثم يلقيه في الصندوق بغير خوف . وبذلك علم أشياء كثيرة كتبها أناس كثيرون وألقوا بها فيه (الصندوق) وقد عتاد أن يجلس كل يوم جمعة في كنيسة الشهداء(١) ماريوحنا المعمدان ومارأدى الرسول ، ويقضى في الدعاوى بدون أتعاب . فكان يتشجع المظلومون ضد ظالميهم - والمنهوبون ضد ناهبيهم ويقدمون له قضاياهم فيحكم بينهم وقد أحضرت أمامه بعض القضايا التي ظلت أكثر من خمسين عاما ولم يبت فيها فحكم فيها . وبنى المشى المغطى بجوار بوابة الاقبية . وبدأ كذلك في بناء الحمام العام الذى كان قد خطط لبنائه من سنوات مضت إلى جانب شونة الحبوب . وأصدر أوامر بأن يعلق الصناع على حوانيتهم في ليلة الأحد صلبانا ويوقدوا بها خمسة مصابيح .

(٣٠) سنة ٨٠٩. (٨ / ٤٩٧ م) وبينما كانت تقام هذه الأشياء اقبل ثانية العيد الذى فيه يتغنى بأقاصيص الوثنية . وازدادت عناية أبناء المدينة به أكثر من المعتاد . وكانوا قبل ذلك يذهبون لفترة سبعة أيام جماعات إلى المسرح في وقت المساء مرتدين ثياباً بيضاء ، ويلبسون عمائم كاشفين عن ظهورهم , والقناديل مضيئة أمامهم ، يحرقون بخوراً ويسهرون الليل كله يطوفون المدينة يشجعون الراقصين حتى الصباح بالغناء والصياح باخلاق منحطة . ومن أجل هذه الاسباب أهملوا الذهاب للصلاة ، ولم يحاول واحد منهم التفكير في واجبة ، ولكن في غرورهم سخروا بتواضع أبائهم وقالوا : لم يعرفوا كيف يعملون هذه الأشياء مثلنا . وظلوا يقولون أن سكان المدينة في الازمان القديمة كانوا بلهاء وأغبياء . بهذه الطريقة تجرءوا في الحادهم ، ولم يكن هناك من يحذر أو يزجر أو ينذر .

---

(١) وهى الكنيسة التى حفظت بها مخلفات هؤلاء القديسين

وعلى الرغم من أن اكسنايا أسقف منبج (١) كان فى ذلك الوقت فى الرها . الذى ظن أنه أخذ على عاتقة أن يشتغل بالتعليم لم يتكلم معهم فى هذا الشأن أكثر من يوم واحد ولكن الله برحمته أظهر لهم بوضوح عنايته بهم حتى يحيدوا عن شرهم فقد وقع العمودان والحمام الذى يستحمون فيه بالصيف ولكن برحمة الله لم يصب أحد بسوء على الرغم من أن أناسا كثيرين كانوا فى عملهم فى الداخل والخارج ولم يمت إلا أثنان تحطما وهما يهربان من صوت السقوط عند باب الحمام إذ كانا متعلقين بممن الجانبين ليدور حول محورة وقد تأخرا فى محاولة من منهم يخرج أولا فوقعت الحجارة عليهما وماتا . وقد شكر الله كل العقلاء أنه حمى المدينه من الحزن الكثير لان هذا الحمام كان يجب أن يفتح بعد أيام قليلة . وهكذا وقع با كمله حتى أن صف الحجارة الاسفل الذى كان موضوعاً على سطح الأرض قد خلع عن مكانه.

(٣١) وفى نفس السنة صدر أمر من الملك انستاس بانه سيتنازل عن الذهب الذى كان يدفعه العمال مرة كل أربع سنوات ويعفون من الضرائب . وقد نفذ هذا الفرمان ليس فى الرها وحدها بل كذلك فى جميع المدن والمقاطعات الرومانية. وكانت عادة الرهاويين أن يدفعوا كل أربع سنوات مائه وأربعين رطلا (٢) ففرحت كل المدينة ولبسوا جميعاً ملابس بيضاء من الصغير إلى الكبير وحملوا شموعاً مضيئة ومباخر مملوءة بخوراً موقداً. فتقدموا بالمزامير والابتهال — حامدين الله وشاكرين الملك —

---

(١) بفتح الميم وسكون النون وفتح الباء الموحده وفى أخرها جيم ، وهى بلده من جند قنسرين شرقى حلب على نحو مرحلتين منها بناها بعض الأكاسرة الذين غلبوا على الشام وسماها منبه فعربت منبج وكان بها بيت نار للفرس وهى كثيرة الغنى القلقشندى : صبح الاعشى ج٤ ص١٢٧

(٢) الكلمة فى المخطوط السريانى تشير إلى العملة التى كان يتداولها فينيقيو سردينية فى القرن الثانى الميلادى ، ومازالت مستخدمة عند العرب بمعنى رطل .

إلى كنيسة الشهداء مار سرجيوس ومار سمعان حيث قدموا القرابين . ودخلوا المدينة وظلوا محتفلين بعيد كله فرج ومرح طوال الاسبوع ، وتعاهدوا على أن يحتفلوا بهذا العيد كل عام . وكان العمال كلهم يمرحون ويتمتعون ويستحمون ويأكلون فى أروقة الكنيسة(١) وفى كل طرقات المدينة .

(٣٢) فى هذه السنة فى الخامس من حزيران (يونيو) توفى مار قرة الأسقف وخلفه بطرس فأضاف إلى أعياد السنة عيد الشعانين ، كما ابتدع العادة التى تقدس الماء فى الليل بعد عيد الغطاس مباشرة ، وصلى على زيت المسوح يوم الخميس أمام الناس أجمعين الى آخره من الأعياد الأخرى . وقد عزل الاسكندر الحاكم وخلفه ديموستين ونظفت جميع أورقة مدينتنا تبعا لأوامره . وقد تضايق الكثيرون من هذا وقالوا انها كانت علامة نذير بقرب الشرور التى سوف تصيب المدينة .

(٣٣) سنة ٨١٠ (٤٩٨/٩ م) وقد ظهر لنا فى ذلك الوقت برهان عن عدالة الله لابطال أعمالنا الشريرة . ففى شهر ايار مايو من هذه السنة حينما جاء اليوم للاحتفال بهذا العيد الوثنى الشرير جاءت من الجنوب كمية كبيرة من الجراد على مقاطعتنا ، ولكنها لم تدمر أو تؤذى شيئا فى هذه السنة بل وضعت بيضها فقط فى مكان ليس بصغير ، وبعد أن أودعت بيضها الأرض حدثت زلازل مفزعة ، وكان من الواضح أن ذلك حدث لإيقاظ الناس من الانغماس فى الخطايا حتى لا يعذبوا بالجوع والطاعون .

(٣٤) وأما فى شهر آب (أغسطس) صدر أمر من الملك انستاس بأن

---

(١) وهى كنيسة القديس (توماس) توما الحوارى ، أنظر السمعانى المكتبة الشرقية جـ ١ ص ٣٩٩ .

تبطل مصارعة الوحـوش فى كل مدن الامبراطورية الرومانيـة . وفى شهر أيلول (سيتمبر حدث زلزال مدمر وصوت عظيم سمع من السماء على الأرض ، وقد اهتزت الأرض من أساسها من ذلك الصوت وجميع المدن والقرى سمعت وشـعرت بصوت الزلزال وانبهرت . وجاءت الينا أصـوات قوية كثيرة مزعجـة من كل جهـة . وقد قال بعضهم ان علامة مذهلة شـوهدت فى نهر الفرات وعنـد النبع الحـار لإيران (١) حيث جف فى ذلك اليـوم المـاء الذى كان يخرج من نافوراتهـا ولم تظهر لى كأنها خداع ، فإنه عندما تشققت الأرض من الزلزال توقف الماء الجارى — فى الأماكن التى تشققت — عن الجريان ، وفى تلك الأثناء تحولت إلى اتجاه آخر كداود المبارك حينما قص فى المزمور الثامن عشر (٢) عن العقوبات التى أنزلهـا الله على أعدائه بزلزلة الأرض وتشقق الجبال ، وغير هذا مما ذكره حدث كذلك لأنه قال(٣) :

« فظهرت أعماق المياه وانـكشفت أسس المسكونة من زجرك يارب » كذلك جاء فى أثناء هذا الشهر خطاب قرىء فى الـكنيسة أمام جميع المصلين يذكر أن نيـكوبولوس(٤ قد فاض على الأرض فجأة فى منتصف الليل وأغرق كل سكانه ، وقد دفن بعض الأجانب الذين كانوا هناك وبعض الأخوان من مدارسنا الذين كانوا مسافرين هناك فى هذه المنطقه ،وقد أخبرنا بهذا زملاؤهم الذين جاءوا (من

---

(١) إيران موضع فى منتصـف الطريق بين الدجـلة والفرات بالقرب من اليرموك .

(٢) المزامير إصحاح : ١٨ آية ٧ .

(٣) المزامير إصحاح ١٨ آية ١٥ .

(٣) اسم آخر لنهر عمواس فى فلسطين فى منتصف الطريق بين يافا والقدس .

هناك) . وقد هدم كل سور المدينة الذى كان يحوطها ، وانقلب بالليل كل شىء كان بداخل المدينة ، ولم يبق إنسان حيـا إلا أسقف المدينة واثنـان آخران كانا نائمين وراء قبة مذبح الـكنيسة إذ عندما سقط سقف البيت الذى كانا ينامان به استند طرف أحد أخشابها على حائط الذبح وهـكذا لم تدفنهما وقد أخبرنى شخص يمكن الاعتماد على صدقه بما يأتى : فى المشية من هـذا اليوم حينما فاض (نيـكوبولس) كنت أنا وصديق لى نرقد داخل المدينة وكان هو قلقا فقال لى : هيا نقوم ونمضى الليل خارج المدينة فى كوخ هناك كعادتنا لأنى لا أستطيع الراحة هنـا فإن الهواء رطب ولا أستطيع النوم . وهـكذا قمنا نا وهو وخرجنا من المدينة وأمضيت الليل فى الـكوخ كعادتنا ، وحينما جاء الفجر أيقظت صديق الذى كان معى وقلت له : قم لأن النهار طلع وهيا ندخل المدينة ونقوم بعملنا . وقمنـا أنا وهو وأتينا المدينـة ووجدنا كل أبنيتها مقلوبة ، ودفن فيهـا الناس والقطيع والثيران والجمال وصوت أنينهم كان يصعد من جوف الأرض . هؤلاء الذين تجمعوا هناك أخرجوا القسيس من تحت هذه الأخشاب التى كان يستظل بها وطلب خبزا وخمرا ليـكرم بها القربان المقدس،فلم يجد لأن المدينة بأ كملهـا قد انقلبت ولم يبق فيها شىء قائم . وجاء عبر الطريق رجل طيب فاعطاه قطعا صغيرة (من الخـــبز) وقليلا من الخمر فقرب القربان وصلى وأشرك هؤلاء الذين كانوا هناك فى معجزة الحياة . وهو يشبه — فى ذلك الوقت — كما أعتقد لوطا الطيب حينما هرب من سدوم(١) . وهذا يـكفى حتى الآن .

(٣٥)ومرة أخرى فى الشمال كان هناك بيت للشهداء يدعى شمشاط(٢)، وكان مبنيا

---

(١) من أرض فلسطين سكنها قوم لوط .

(٢) ويكتب فى السريانية ارشمشاط ويقع فى ناحية خربوط فى الطرف الشرقى منها أنظر كتالوج رايت ص ٤٣٢ع ٢٠ .

بناء قويا ومزينا زينة جميلة . وفى يوم محدد من كل سنة وهو يوم الاحتفال بذكرى الشهداء الذين دفنوا هناك تجمع الكثيرون من كل صوب للصلاة والتجارة ، وكانت الاستعدادات كبيرة للناس الذين تجمعوا فيه . وبينما كان يوجد هذا الجمع الكبير المحتشد من الرجال والسيدات والأطفال من جميع الاعمار والاوساط حدث برق ساطع مرعب ، واصوات رعد مدوية ومخيفة فهرب كل الناس إلى بيت الشهداء هذا يبحثون عن مأوى مع عظام القديسين ، وبينما هم فى خوف شديد مشغولين فى الصلاة والعبادة فى منتصف الليل سقط بيت الشهداء هذا وتحطم تحته السواد الاعظم من الناس الذين كانوا هناك ، وقد حدث هذا فى نفس اليوم الذى قاض فيه نيكوبولس .

(٣٦) سنة ٨١١ (٥٠/٤٤٩ م .) وبالرغم من كل هذه الزلازل والكوارث لم يحد أى رجل منا عن طريق الشر لذلك فان قريتنا ومدينتنا ظلت بدون صفح، ولاننا قد نجينا من العقاب الذى حل بغيرنا ، والشائمات التى جاءت الينا من بعيد لم تنذرنا ابتلينا بضربة لم يكن لها برء فلنؤمن اذن بعدالة الله ونقول : الحق هو الله وأحكامه جد عادلة . لانه هوذا — فى تحمله الطويل — كان يستطيع بالرغم من الآيات والمعجزات أن يمنعنا من عمل الشر . وفى شهر تشرين الاول (أكتوبر) من هذه السنة فى يوم السبت ٢٣ عند طلوع الشمس ذهب عن ذلك اليوم ضياؤه وظهرت دائرة الضوء كالفضة ، ولم يكن له اشعة محسوسة ، وكانت اعيننا تستطيع الحملقة فيه بدون شىء يعترضها الانه لم يكن هناك أشعة أو ضوء يعترضها عند النظر . كذلك كان من السهل علينا أن نرى القمر وظل كذلك لمدة ثمانى ساعات . او الضوء القليل الذى ظهر فوق الأرض كان وكأنه رماد أو كبريت قد رش فوقها . وظهر فى ذلك اليوم على سور المدينة علامة أخرى مرعبة ومفزعة . فهذه المدينة — التى من أجل اخلاص ملكها وعدالة سكانها فى الزمان القديم — استحقت أن تستقبل البركات من سيدنا ، كانت على وشك

أن تتفرق سكانها في هذه الايام بسبب كثرة خطاياهم ، وكان هناك كسر في السور من الجنوب حتى البوابة (١) الكبيرة فتطايرت بعض الاحجار منها الى بعيد في أماكن غير قليله ، فاقيمت صلوات عامة بأمر من ابينا الاسقف ماربطرس وطلب كل واحد الرحمة من الله ، وأخذ الاسقف كل خدمة الكنيسة وجميع الأعضاء من الرجال والنساء وكل أبناء الكنيسة المقدسة الاغنياء منهم والفقراء رجالا ونساء وأطفالا وطافوا بجميع شوراع المدينة حاملين صلبانا يزمرون ويسبحون لابسين ملابس السواد خشوعا وظلت كل أديرة مقاطعتنا قائمة على الخدمات بعناية كبيرة . وهكذا بصلوات جميع القديسين ثبت نور الشمس فى مكانه وعمنا قليل من الفرح .

(٣٧) وفى تشرين الثانى رأينا ثلاث علامات فى السماء فى منتصف النهار أحداها كانت فى وسط السماء ناحية الجنوب ، وكانت تشبه فى لونها القوس الذى فى السحاب وهى توجة الناحية المجوفه إلى أعلى . أى أن — وجهها المحدب إلى اسفل وأطرافها إلى أعلى . وكانت هناك واحدة فى الشرق وأخرى فى الغرب ، ومرة أخرى فى كانون الثانى « يناير » رأينا علامة أخرى فى نفس الركن الجنوبى الغربى وكانت تشبه الرمح . وقال — بعض الناس أنها مكنسة الخراب والبعض قال أنها رمح الحرب .

(٣٨) وحتى ذلك الوقت كنا نعاقب بالاشاعات والعلامات ، ولكن من الآن فصاعدا من الذى يستطيع أن يخبرنا بالشدائد التى سوف تحيط ببلدنا من جميع الجهات . وفى شهر آذار « مارس» من هذه السنة خرج الجراد علينا من الارض حتى أن من كثرته تخلينا أنه ليس البيض الذى كان فى الارض فقط هو الذى افرخ لايذائنا ولكن الهواء قذف به الينا وأنه نزل من السماء علينا ، وحينما استطاعوا الزحف فقط التهموا وافنوا كل مقاطعة العرب وكل رأس العين وتلا (٢) والرها ثم بعد أن استطاعوا الطيران كان امتداد نصف قطرهم من تخوم اشور حتى البحر الغربى (البحر الأبيض المتوسط)

---

(١) تقع البوابة الكبرى فى الجنوب الشرقى من المدينة وتؤدي إلى حران

(٢) وتدعى فى السريانيه تل موزن وفى اليونانيه constantina or constanti) بين ماردين والرها عند المكان المعروف باسم وران شهر أى مدينة وران.

والجهوا ناحية الشمال حتى حدود هنزيط (١) (شمال ارمينية). واكلت وخربت هذه النـواحى والتهمت كل شيء كان بها . لذلك حتى قبل أن تنشب الحرب كنا نرى باعيننا هذا الذى قيل عن بابل البلد (٢) : كجنة عدن قبلة وبرية مقفرة بعده . ولما لم تردعهم عناية الله التهمت النـاس والقطيع ، كما سمعنا أنها عملت ذلك تماما فى واحدة من القرى ، فقد وضع الناس طفلا صغيراً فى حقـل وهم يعملون ، وقبل أن يذهبوا من أحد جوانب الحقل إلى الجانب الاخـر حط الجـراد عليه ونزع منه الحياه .

وبعد ذلك مباشرة فى شهر نيسان (أبريل) بدأ قحط فى المحاصيل وفى كل شيء فـكان يباع أربعة مدود من الحنطة بدينار .

وفى شهر حزيران (يونيو) وتمـوز (يوليو) خضع سـكان هذه الأحيـاء لـكل أنواع التحايل لـكى يعيشوا فزرعوا الذرة لاستعمالهم الخاص ولـكنها لم تـكن

---

(١) المخطوط Ortaye وهى مقاطعة هنزيط أو أنزيط فى جنوب أرمينيه أنظر نولدكه المجله الالمانية بودلين ص ١٦٣ .

(٢) بابل بفتح الباء الموحده ثم الف وباء موحده ثانيه مكسوره ولام فى الاخر وهى مدينه واقعة فى الأقليم الثالث وهى أقدم أبنيه العراق واليها ينسب أقليم بابل لقدمها وكان ملوك الـكنعانيين وغيرهم يقيمون بها ، وبها أثار أبنيه أحسبها أن تكون فى قديم الأيام قصراً عظيما ويقال أنها من بناء الضحاك آخر ملوك الفرس الذى ملك الأقاليم السبعه وفيها التى إبراهيم الخليل عليه السلام فى النار وقد أخبر الله تعالى فى كتاب العزيز : أن بهـا هاروت وماروت الملـكين اللذين يعلمان الناس السحر ويقال أنهما بها فى بئر وأن البئر ظاهره بها إلى الان

(القلقشندى : صبح الأعشى ﺣ ٤ ص ٣٢٨ — ٣٢٩)

كافية لهم لأنها لم تفلح . وقبل أن تنتهى السنة احوجت شدة الجوع الناس إلى التسول حتى أنهم باعوا حاجياتهم بنصف ثمنها كالبعير والثيران والضأن والخنازير . ولأن الجراد قد التهم كل المحصول ، ولم يترك مرعى أو مأكلا لا للناس ولا للحيوان هجر السكثيرون أماكنهم وانتقلوا إلى أماكن أخرى إلى الشمال والغرب . وقد دخل المدن المرضى الذين كانوا فى القرى ، والشيوخ والأطفال والنساء والمولودون وكذلك الذين عذبوا بالجوع ، دخلوا المدن يطلبون الحياة بالتسول لأنهم لم يستطيعوا المشى أو الذهاب لمسافة بعيدة . وهكذا خلت قرى كثيرة وكفور من الناس ، وهم على أى حال لم يفروا من العقاب حتى هؤلاء الذين ذهبوا إلى أماكن بعيدة . ولكن كما كتب عن شعب أسرائيل (١) « حيثما خرجوا كانت يد الرب عليهم للشر » هكذا حدث لهم لأن الطاعون دهمهم فى الأماكن التى ذهبوا اليها كما دهم هؤلاء الذين ذهبوا إلى الرها . وما سوف اقصه عليك بعد قليل — على قدر استطاعتى — لايستطيع أحد — كما اعتقد — أن يصفه كما حدث .

(٣٩) والأن ساكتب لك عن المجاعة كما طلبت منى ، ولم أكن ارغب حقيقة أن اسجل شيئا عن هذا ولكنى اجبرت نفسى حتى لا تظن انى احتقر أوامرك . فقد بيع القمح وقتذاك فى حدود أربعة مدود بدينار والشعير بستة . وكان قاب الحمص بخمسمائة نوميا وقاب الفول باربعمائة نوميا وقاب العدس بثلاثمائة وستين نوميا . أما اللحم فلم يكن متعذرا بعد . ومع مرور الزمن اشتدت المجاعة واشتد الم الجوع على الناس . وكان كل ما هو غير صالح للاكل رخيصا مثل الملابس ومتطلبات المنازل فكانت تباع الأشياء بنصف أو بثلث ثمنها . ولم تكن لتكف حاجة أصحابها بسبب النقص الكبير فى الخبز . وفى ذلك الوقت

---

(١) القضاة : ٢ : ١٥

ذهب أبونا مار بطرس إلى الملك ليطلب منه التنازل عن الضريبة وكان الحاكم قد ألقى القبض على ملاك الأراضى واضطهدهم اضطهادا كبيراً وسلبها منهم . وحتى يستطيع الأسقف أن يقنع الملك أرسل الذهب من الحاكم إلى العاصمة . وحينما رأى الملك أن الذهب قد وصل إليه لم يغفأ أن يتنازل عنه ، وحتى لا يرجـــع أبانا خاوى الوفاض أعاد إلى الفلاحين قاسين والجعل الذى كانوا يدفعونه ، وأعفى الوطنيين من توصيل المياه للرومان .

(٤٠) ثم سافر الحاكم إلى الملك متمنطقا سيفه ، وترك أوسابيوس ليحل مكانه ويحكم المدينة . وحينما رأى أوسابيوس هـذا أن الخبازين غير كافيين لتمر السوق بالخبز بسبب كثرة النساء القرويات اللائى ملأن المدينة ، وبسبب الفقراء الذين ليس لديهم خبز فى بيوتهم — أمر بأن كل واحد يعمل الخبز عليه أن يبيعه فى السوق وجاءت نساء يهوديات فاعطاهن قمحاً من شونة عامة وعملوا خبزا للسوق . ولـكن على الرغم من هذا فإن الفقراء كانوا فى عسر لعدم وجود الثمن معهم ليشتروا به الخبز ، وتجولوا فى الأسواق والأروقة والاديرة يستجدون لقمة العيش ، ولم يكن فى بيت واحـد خبز زيادة عن حاجته ، وعندما كان يستجدى أحدهم بعض النقود — ولا يستطيع شراء الخبز بها — يشترى بها لفتا أو كرنبا أو خبيزة ويأكلها فجة ، ولهذا كان هناك نقص فى الخضر واستمر نقص فى كل شىء فى المدينة وفى القرى وهكذا تجرأ الناس ودخلوا الأماكن المقدسة ، ومن شدة جوعهم أكلوا الخبز المقدس وكأنه خبز عادى . وآخرون قطعوا جثث الموتى — التى لا تؤكل — وطبخوها وأكلوها .

(٤١) سنة ٨١٢ (١/٥٠٠م) فى هذه السنة — بعد القطاف — بيعت الخمر ستة أكيال بدينار والقاب من الزبيب بثلاثمائة نوميا . وإزداد الجوع فى القرى وفى المدينة

ومن تركوا في القرى كانوا يأكلون الكشني (نباتة) وآخرون يجمرون الحشف (١) ويأكلونه ولو أنه لم توجد الكفاية منه للشبع. وهؤلاء الذين كانوا بالمدينة كانوا يجوبون الأسواق يلتقطون سيقان النباتات وأوراقها وهي ملوثة بالزبل ويأكلونها. وينامون في الأروقة والأسواق ويولولون طوال الليل والنهار من شدة الجوع فذابت أجسامهم وحزنوا وأصبحوا مثل ابن آوى بسبب هزال أجسادهم، وكانت المدينة ملأى بهم. وبدأوا يموتون في الأروقة والأسواق.

(٤٢) وعندما صعد الحاكم ديموستين إلى الملك أطلعه على هذه الشدة فأعطاه الملك ذهبا كثيرا ليوزعه على الفقراء. وعندما عاد إلى الرها ختم منهم رجالا كثيرين على رقبتهم بختم من الرصاص. وكان يعطي كل واحد منهم رطلا من الخبز يوميا. وظلوا كذلك لا يستطيعون العيش لأنهم كانوا مثقلين بآلام الجوع التي أهلكتهم. وإزداد الطاعون سواء في هذه الايام اعني في تشرين الثاني (نوفمبر) واشتدت في كانون الاول - (ديسمبر) حينما بدأ الثلج والجليد لانهم كانوا يبيتون بالاروقة والاسواق، وادركتهم المنية وهم نائمون. وكان يبكي الاولاد والاطفال في كل الاسواق فمنهم من ماتت امهاتهم ومنهم من تركتهم وهربن حينما طلبوا منهن المأكل وليس عندهن ما يقدمنه لهم. وكانت الاشلاء ملقاه في كل الاسواق ولم يستطع المواطنون دفنها إذ بينما كانوا يحملون الجثة الاولى لدفنها يجدون كثيرا غيرها وبعناية مار نونا كسندكرا(٢) اعتاد الاخوان بعد ذلك أن يجوبوا المدينة ويجمعوا هذه الاشلاء. كما اعتاد جميع سكان المدينة أن يجتمعوا عند باب كسندوكيان ويذهبوا بعيداً ويدفنوهم كل صباح. وقد أسس القس مار توثائيل ومار ستراتونيكوس

---

(١) ما يسقط من العنب والكروم ويجف.

(٢) كسندوكيان: كلمة يونانية بمعنى فندق للغرباء، كسندكرا: غريب.

ـ الذى استحق بعدفترة مرتبة الاسقف بمدينة حران(٢) ـ ملجأ فى احدمبانى كنيسة الرها فدخل بها المرضى وعاشوا هناك. وقدوجدت حثث كثيرة فى الملجأ مع الاكسندوخين

(٤٣)وسد الحاكم بوابات الأعمده المجاورة للحمام الشتوى ووضع به قشاوحصيراً فكانوا ينامون هناك ، وبالرغم من هذا لم تكفهم ، وحينما رأى أعيان المدينة ذلك أسسوا هم أيضاً ملاجىء ودخلها الكثيرون واحتموا بها، كذلك انشأ الروم أماكن ونام بها المرض على نفقتهم الخاصة ، وكانوا يموتون موتا قاسيا وجنونا . وبينما كان يدفن الكثيرون منهم كل يوم ـ وكان العدد مازال متزايدا ـ وردت شائعة بكورة المدينة وهى أن الرهاويين يعتنون بذوى الحاجة ولهذا السبب دخل المدينة عدد من الناس لايحصى. كذلك كان الحمام الذى تحت بيت الرسل جانب البوابة الكبيرة ملىء بالمرضى وبكثير من الاشلاء التى كانت تخرج منه كل يوم ، وكان سكان المدينة يعتنون باقامة جناز لاولئك الذين كانوا يحملون من الاكسندخين بالمزامير والتراتيل والاغانى الروحية المليئة بامل البعث . وكانت السيدات يشيعنهم ببكاء مرير ونواح عال . وعلى رأسهم كان يمشى راعى الكنيسة النشيط ماربطرس ومعهم كذلك الحاكم وكل النبلاء وعندمايدفن هؤلاء كان يعودكل واحد ليشيع جنازة الذين ماتوا فى حيه. وحينما امتلأت قبور الاكسندوخين والكنيسة خرج الحاكم وفتح المقابر القديمة التى كانت بجانب كنيسة مارقونا (٢) التى شيدها القدماء بعناية ـ وملئوها . ثم فتحوا

---

(١) بفتح الحاء وتشديد الراء المهملتين وفى آخرها نون بعد الألف وهى مدينة من ديار مضر من الجزيرة وكانت حران مدينة عظيمة وهى مدينة الصابئين وبها سدنتهم السبعة عشر وبها تل عليه مصلى للصابئين يعظمونه وينسبونه إلى إبراهيم عليه السلام .

« القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ٣١٩ »

(٢) أسقف الرها الذى توفى حوالى ٣/١٢/٣م ؟أنظر السمعانى المكتبية الشرقية ج ١ ص ٢٧١ ع ٢٠

أخريات ولم تـكفيهم أيضاً . وفى النهاية فتحوا كل مقبرة قديمة وملئوها — وكانت تحمل أكثر من مائة جثه يومياً من الاكسندوخين وفى أيام كثيرة كانت تبلغ مائة وعشرين ، وقد وصلت إلى مائة وثلاثين من بداية تشرين الآخر (نوفمـبر) وحتى نهاية آذار (مارس) ولم يكن يسمع فى ذلك الوقت فى جميع أسواق المدينـة إلا أصوات العويل على الأطفال او البكاء للفجع لهؤلاء الذين يتألمون .ومات الـكثيرون بساحات الـكنيسة وساحات المدينة وفى الحانات(١) ، كما كانوا يموتون فى الطرقات بينما هم يدخلون المدينة .

وفى شهر شباط (فبراير) اشتد القحط وكثر الطاعون وبيع القمح ثلاثة عشرة قابا بدينار والشعير ثمانية عشرة قابا بدينار ، وكان رطل اللحم بمائة نوميا والرطل من الدجاج بثلاثمائة نوميا والبيضة بأربعين نوميا . وباختصار كان هناك قحط فى كل شىء يؤكل .

(٤٤) وقامت صلاة عامة فى شهر آذار (مارس) حتى ينزاح الطاعون عن الغرباء وكان سكان المدينة وهم يتضرعون من أجلهم مثل الطيب داود حينما قال للملاك الذى أهلك شعبه(٢) : « ها أنا أخطأت وأنا أذنبت . وأما هؤلاء الخراف فماذا فعلوا فلتـكن يدك على وعلى بيت آبائى » .

وفى شهر نيسان (أبريل) بدأ الطاعون بين سكان المدينة وخرجت نعوش كثيرة فى يوم واحد لم يستطع أحـد أن يحصيها . ولم يكن سيف الطاعون مسلط فقط فى الرها ولـكن كذلك من أنطاكيا حتى نصيبين فـكان الناس يهلـكون ويعذبون بالمجاعة

---

(١) بالسريانية Photka وهى مأخوذة عن اليونانية وهى فى العربية فندق وفى الأسبانية وفى الإيطالية Fondaco .

(٢) صموئيل الثانى ٢٤ ، ١٧ .

والطاعون ، وماتت كثير من الأغنياء ولم يكونوا جائعين ، كما مات كثير من النظيف في هذه السنة .

وفي أشهر حزيران (يونيو) وتموز (يوليو) بعد المحصول ظننا أن قد تخلصنا من المجاعة ولكن لم يتحقق توقعنا كما ظننا لقمح المحصول الجديد بيع غالياً إذ كانت الخمسة مدود بدينار .

(٤٥) سنة ٧١٣ (٢/١٠٥ م) من بعد شدة الجراد والجوع والطاعون — التي كتبت لك عنها — منحنا قليلا من الراحة — برحمة الله — حتى نستطيع أن نتحمل ما سوف يجيء في المستقبل كما علمنا بعد ذلك. وكان هناك قطاف كثير وخمر من المعصرة بيع الخمسة وعشرين كيلا بدينار . وأعطى الفقراء بسخاء من محصول الحشف — هكذا قال الأجراء والمزارعون — لأن محصول الحشف كان أكثر بكثير من محصول القمح لأن الرياح كانت شديدة عندما نضج العنب وجف الجزء الأكبر منه، وقال الحكماء لقد حدث هذا بعناية الله — رب الكل — وكان ذلك خليطاً من الرحمة والعقاب حتى يستطيع الفلاحون أن يعيشوا بهذا الإمداد من الحشف ولا يموتون جوعا كما حدث في العام الماضي . حيث كان يباع القمح في ذلك الوقت أربعة مدود بدينار واحد والشعير ستة مدود.

وفي أثناء التشرينين (أكتوبر ونوفمبر) حدثت الرحمة الآتية : فشتاء هذه السنة كان مطره شديداً أكثر من أن يوصف والبذرة التي زرعت كبرت هنا وهناك وكانت أطول من قامة الإنسان ، وذلك قبل أن يأتي شهر نيسان (أبريل) حتى الأراضي القاحلة أنتجت قليلا من ذلك الذي زرع . وهكذا أنتجت أسطح المنازل حشيشاً كثيراً ، حصده الناس وباعوه وكأنه حشيش الحقول ، ولم يعرفه المشترون لطوله ولوجود السنابل به ، وكنا نتشمم أن يكون المحصول رخيصاً في هذه السنة عن

السنوات السابقة ولكن خاب رجاؤنا لأنه فى شهر آيار (مايو) هبت ريح حارة لمدة ثلاثة أيام فتلفت كل محصول بلدنا إلا من أماكن قليلة .

(٤٦) وفى ذلك الشهر حينما حل اليوم الذى كان يحتفل فيه بالعيد السيء لقصص اليونان الذى علمناه من قبل ، صدر أمر من الملك انستاس ألا يرقص الراقصون فى أى من المدن فى مملكته . ومن يرى عاقبة الأمور لن يلومنا على قولنا هذا . فبسبب الوقاحة التى كان يقترفها سكان المدينة فى هذا العيد انتابتنا عقوبات الجوع والطاعون على التوالى فبعد أن انتهت ثلاثون يوماً من نهاية العيد بيع القمح بحوالى دينار لأربعة مدود وكان يباع فى حدود اثنى عشر ، والشعير ما بيع فى حدود ستة بيع فى حدود اثنتين وعشرين وكان واضحاً لكل فرد أن قوة الله قادرة على أن تبارك محصولا صغيراً ويعطى شبعاً لهؤلاء الذين تابوا عن خطاياهم . ولكن جف المحصول الطيب — كما ذكرت — ومع ذلك فمن البقية القليلة التى بقيت جاءت النجدة خلال ثلاثين يوما . وربما يقول أحد أنى لا أحكم بالحق، ولكن الحق أن هذه التوبة لم تكن طواعية، ولكن نكون رحماء — أنقول — أن الملك أبطل العيد بالقوة وأمر الراقصين بألا يرقصوا أبداً وعندئذ نقول إن الله — من أجل حسناته المتعددة — كان يبحث عن فرصة ليظهر رحمة حتى على هؤلاء الذين لا يستحقون. وكان لنا من هذا برهان إذ رحم أحآب حينما خزى بعزل إيليا ولم يوجد فى أيامه هذا الشر ولم يقدر على بيته من قديم(١). أما أنا فلا أقول هكذا إذ لم تكن هذه الأخطاء هى الوحيدة التى حلت بمدينتنا وإنما كثيرة هى الأخطاء التى ارتكبت سراً وعلانية ومن أجل أن الحكام شاركوا فيها فأنا لا أريد أن أعدد هذه الأخطاء حتى لا أعطى فرصة لهؤلاء الذين يحبون اللوم أن يقولوا عنى أننى أتكلم ضد الرؤساء . ولكن على أى حال فلن أترك الأمر فى خفاء لأنى وعد من قبل أن أعرفك (بكل شىء) منذ

(١) ملوك أول ٢١ : ٢٩ .

أن اشتعلت الحرب ضـدنا . ولا يجب أن أذكر شيئا عن المذنبين ولـكن أسطر كلمات النبي التي يمكن أن يفهم منها ذلك الذي حينما يرى أبناء شعبه يقترفون أعمالا تشبه هذه التي تقترف في مدينتنا ـ وكثيرة هي عندكم وفي جميع أنحاء القاطمة ـ يقول عنهم وكأنه من فم الرب(١) «وبل لمن يقول للأب لماذا تلد وللمرأة لماذا تحملين» . أما عن الأشياء الأخرى فمن الأحسن السكوت لأنه من الأفضل الأصغاء إلى عبارات الـكتاب التي تقول(٢) «لذا يصمت العاقل في ذلك الزمان لأنه زمان رديء» ولـكن إذا منح الرب ورأيناك في صحة فسوف نخبرك بهذه الأشياء على قدر استطاعتنا .

(٤٧) والآن أستمع إلى الـكوارث التي حلت في هذه السنة والعلامة التي شوهدت في الذي حدثت به لأنك قد طلبت ذلك مني .

في يوم ٢٢ آب (أغسطس) من هذه السنه في ليلة الجمعة شاهدنا نارا عظيمة متوهجة في الركن الشمالي طوال الليل وظننا أن الأرض كلها في هذا الليل ستنمحي من أمواج النار التي شبت ، ولـكن رحمة الله حفظتنا حتى لا نؤذى . وقد وصلتنا رسالة من أناس ذوي مكانة مسافرين إلى القدس(٣) (كتب) فيها هكذا : أنه في نفس الليلة التي شوهدت فيها النار مشتعلة جدا انقلبت مدينة البطالمة التي هي عكا(٤

---

(١) أشعيا ١٤ : ١٠ .

(٢) عاموس ٥ : ١٣ .

(٣) القدس لفظ غلب على مدينة بيت المقدس وهو المسجد الأقصى وهي مدينة من جند فلسطين والمسجد الأقصى هو أحد المساجد الثلاثة التي تشد إليها الرحال وهي القبلة الأولى « القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ص ١٠٠ .

(٤) مدينة من سواحل الشام بناها عبد الملك بن مروان ثم غلبت عليها الفرنج ثم انتزعها منهم السلطان صلاح الدين يوسف عن أيوب ثم غلبوا عليها ثانيا ثم استرجعت وقد خرجت بعد استرجاعها المسلمون من الفرنج في سنة ٦٩٠ هـ في الدولة الأشرفية (خليل بن قلاوون) وبها مسجد ينسب لصالح عليه السلام وكانت قاعدة الساحل قبل صفد؟ فلمـا خربت أقيمت صفد مقامها (القلقشندى أصبح الأعشى ج٤ ص ١٥٢) .

ولم يبق فيها شيء قائم . وبعد أيام قلائل جاءنا أناس من صور(١) وصيدا(٢)وقالوا لنا : أنه فى نفس اليوم الذى شوهدت فيه النار وانقلبت دولة البطالمة سقطت نصف مدنهم أعنى نصف صور ونصف صيدا . وفى بيروت(٣) سقط مجمع السبت لليهود فى نفس اليوم الذى انقلبت فيه عكا وأهالى بيسكوميديا استسلموا للشيطان ليعاقبوا والكثيرون منهم عذبوا بالشياطين حتى يتذكروا كلمات الرب ويؤمنوا بالصوم والصلاة ويتقبلوا الشفاء .

(٤٨) أما عن قباذ بن فيروز ملك الفرس ففى نفس اليوم الذى شوهدت فيه النار

---

(١) بضم الصاد المهملة وسكون الواو وراء مهملة فى الآخر وهى مدينة قديمة بساحل دمشق وبناؤها من أعظم أبنيه الدنيا وكانت من أحصن الحصون التى على ساحل البحر فلما فتحها المسلمون فى سنة ٦٩٠ هـ مع عكا خربوها خوفا أن يتحصن بها العدو ويقال أنها أقدم بلد بالساحل وأن عامة حكماء اليونان منها . قال الشريف الأدريسى : وكان بها مرسى يدخل إليه من تحت قنطرة عليها سلسلة تمنع المراكب من الدخول . قال فى التعريف : وبسور كنيسة يقصدها ملوك البحر عند تمليكهم فيملكون ملوكهم بها إذ لا يصح تمليكهم إلا منها. قال وشرطهم أن يدخلوها عنوة ولذلك لايزال عليها الفرده ومع ذلك يأتونها مباغتة فيقضون أربهم منها ثم ينصرفون وسكانها رافضة لا يشهدون جمعه ولا جماعة « القلقشندى . صبح الأعشى ج ٤ ص ١٥٢ .

(٢) بفتح الصاد المهملة وسكون المثناة تحت وفتح الدال المهملة وألف مقصورة فى الآخر وهى مدينة بساحل البحر الرومى ذات حصن حصين قال ابن القطامى سميت صيدون بن صدقا بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام وهو أول من عمرها وسكنها قال فى الروض المعطار سميت بأمراة وشرب أهلها من ماء يجرى اليهم من قناه (القلقشندى صبح الأعشى ج ٤ ص ١١١)

(٣) مدينة جليلة على ضفة البحر الرومى عليها سوران من حجارة وفيه كان ينزل الأوزاعى الفقية المشهور وبها جبل فيه معدن حديد ولها غيضة من أشجار الصنوبر سعتها أثنى عشر ميلا فى التكسير تتصل إلى تحت لبنان وهى غوطه دمشق ولها ميناء جليلة وفى شماليها على الساحل مدينة جبيل «القلقشندى» صبح الأعشى ج ٤ ص ١١١

جمع كل جيش الفرس وصعد ناحية الشمال . ودخل حدود الروم مع جيش الهونيين الذين كانوا عنده وعسكروا عند تيود وسيوبولس(١) من ارمينيا، واستولوا عليها فى أيام قليلة ، عندئذ ثار حاكم المكان ـ الذى يدعى قونسطنطين(٢) ـ ضد الروم وسلمها له بسبب عدواته للملك . ومن ثم نهب قباذ المدينة وهدمها واحرقها وخرب ـ كل القرى فى المنطقة الشمالية وأسر الباقين . وترك قونسطنطين واحدا من قواده كما ترك حامية فى تيود وسيوبولس ثم رجع من هناك .

(٤٩) سنة ٨١٤ (٣/٢/٥٠٢م) أماعن أرض مابين النهرين ـ حيث نعيش ـ فقد حلت أحزان كثيرة فى تلك السنة حتى أن هذه الأشياء التى ذكرها سيدنا المسيح فى الانجيل عن اورشليم «القدس» قد حدثت كذلك ، والاشياء التى تحدث عنها بالنسبه لنهاية هذا العالم تناسب تماما تلك التى حدثت لنا فى هذه الايام فمن بعد أن حدثت الزلازل فى كل مكان كما كتبت لك ، ومن بعد المجاعات والطاعون والخوف والانذارات وعلامات كثيرة شوهدت فى السماء ، قام الشعب ضد الشعب والملك ضد الملك ووقعنا بحد السيف وأسرنا فى كل مكان وديست بلدنا من شعوب غريبة لذلك لم تكن كما ذكر سيدنا (٣) الذى قال «وسوف تسمعون بحروب وأخبار حروب انظروا لاترتاعوا لانه لابد أن تكون هذه كلها ولكن ليس المنتهى بعد» وقد نتجرأ ونقول أن نهاية العالم حلت لان الكثيرين هكذا فكروا وقالوا ولكننا نأمل الا تمتد هذه الحرب على العالم كله الى

---

(١) وهى مدينة أرزروم الحالية .

(٢) أقام الامبراطور قسطنطين المسيحيه دينار سميا للدولة الرومانية وأعاد تنظيمها والعامل المسيطر على حياة الامبراطور قسطنطين هو اعتقاده فى أنه موكول اليه برسالة شخصية من رب المسيحية وأنه ربط لذلك نفسه نهائيا بالمسيحية وكنيستها وعقيدتها وأنه أعتقد أن رفاهية الامبراطورية مرتبطة بالكنيسة وعلى ذلك فإن المثالية البيزنطية المستندة إلى قيام امبراطورية رومانية مؤسسة على العقيدة المسيحية ومتحدة مع الكنيسة يرجع أصلها إلى وجهة نظر قسطنطين .

(٣) متى ٢٤ : ٦

جانب اننا نتذكر أيضا كلمات القديس بولس (١) الذى حذر بها تسالونيقا بسبب مجىء المسيح قائلا (٢)» إن لا تتزعزعوا سريعا عن ذهنكم ولا ترتاعوا لا بروح ولا بكلمة ولا برسالة خادعة وكأنها منا فانه لم يأت يوم المسيح واعلم أنه لا يمكن أن تكون نهاية حتى يظهر المسيح الدجال» من هذه الكلمات التى لسيدنا ولمسيحة نفهم أن هذه الأشياء لم تصبنا لانها كانت النهاية . ولكن حل بنا ذلك كعقاب لازدياد خطايانا .

(٥٠) عندئذ جاء قباذ ملك الفرس من الشمال فى الخامس من تشرين الأول (أكتوبر) يوم السبت وعسكر هو وكل جيشه على مدينة آمد ٣) التى عندنا فيما بين النهرين . أما انستاس ملك الروم فحينما سمع أن قباذ جمع جيشه لم يرد أن يشتبك معه فى حرب حتى لا تراق الدماء فى كلا الجانبين وأرسل له ذهبا مع روفينوس (٤) وأمره بأنه إن وجد قباذ عند الحدود ولم يدخل لمقاطعة الروم بعد فليعطة الذهب ويرده . ولكن حينما جاء روفينوس إلى قيصرية قبادوقيا وسمع أن قباذ قد خرب

---

(١) هو صاحب الهرطقة البوليصية التى ظهرت - أول ما ظهرت فى أرمينيا البيزنطية حوالى منتصف القرن السابع ، وهو القائل : أليس المسيح صورة الله الذى لا تدركه الأبصار . وقوله : ثم أليس حلول الكلمة الإلهية فى صورة بشرية تدركها الأبصار مؤديا إلى تقديس الأشياء المادية وإلى تمثيل الحقائق الروحية فى صور أشكال يمكن رؤيتها . (المرجع السابق ص ٢٠٨ ، ٢٠٩) .

(٢) الرسالة الثانية لبولس الرسول إلى أهل سالونيقا ٢ : ٢ ، ٣ .

(٣) أعظم مدينة بديار بكر وأجلها قــدرا وأشهرها ذكرا (ياقوت : معجم البلدان ج ١ ص ٦١) .

(٤) روفينيوس أسقف أكويليا وهو الذى أدخل علم اللاهوت اليونانى إلى بلاد المغرب .

أجيل(١) وصوف وارمينيا وعرب (أى عرب مابين النهرين) ترك الذهب فى قيصرية وذهب إليه وطلب منه أن يخرج من الحدود ويأخذ الذهب ولكنه لم يوافق وقبض على روفينا وأمر بحراسته . وحارب ضد آمد هو وكل جيشه بكل خطط الحرب ليلا ونهارا . وبنى عليها منجنيقا . أما الآمديون فقد زادوا على ارتفاع السور ، وعندما ارفع المنجنيق استعمل الفرس راس الدكر(٢) وبعد أن ضربوا السور بشدة تصدع ذلك البناء الجديد — لأنه لم يكن قد استقر بعد — وسقط . أما الآمديون فقد حفروا حفرة فى السور تحت المنجنيق وجروا داخل المدينة سرا التراب الذى كان مكوما بها رافعين إياه للعمل برافعات فانهار المنجنيق ووقع .

(٥١) ولما لم يستطع قباذ التغلب على جيش المدينة أرسل النعمان(٣) ملك العرب (من الحيرة) مع كل جيشه لينزلوا إلى جنوب مقاطعة حران ، كما تقدم أمامهم جيش من الفرس حتى مدينة قسطنطينة التى هى تلا ناهبين وسالبين ومخربين كل البلاد .

وفى اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الثانى (نوفمبر) خرج الومفيس قائد تلا واوجينوس قائد ملطية — الذى نزل بها فى ذلك الوقت — وهم وجيوشهم وأبادوا الفرس الذين وجدوا فى القرى حول تلا . وعندما استداروا ليعودوا إلى المدينة أخبرهم واحد أن هناك خمسمائة رجل فى واد ليس ببعيد . فاستعدوا ليخرجوا عليهم وتفرق جيش الروم الذى كان معهم ليسلب القتلى ، وبسبب الليل أمر الومفيس

---

(١) وتدعى أجيل أو أنجل وهى شمال ديار بكر .
(٢) آلة تستعمل لهدم الأسوار .
(٣) وهو النعمان الثالث بن الأسود الذى تولى الحكم من ٤٩٨ إلى ٥٠٣م .

بأن تشعل نار فوق قمة الربوة ، وينفخ فى الأبواق حتى يتجمع عندهم هؤلاء الذين تفرقوا أما مرازبة الفرس المعسكرون عند قرية تل بشماى(١) فحينما رأوا ضوء النار وسمعوا أصوات الأبواق سلحوا كل جيشهم وجاءوا عليهم . وعندما رأى فرسان الروم أن الفرس أكثر منهم عادوا ، أما الراجلون منهم فقد أكرهوا على الحرب لأنهم لم يستطيعوا الهرب ،وتجمعوا واصطفوا للحرب مكونين تلك التى تدعى سلحفاة وحاربوا مدة طويلة فلما تكاثر عليهم جيش الفرس وانضم إليهم الهونيون والعرب تصدعت صفوفهم واختلطوا ببعضهم واختلطوا بالفرسان وديسوا وسحقوا تحت حوافر أفراس العرب . وهكذا أبيد الكثير من الروم وأسر الباقون .

(٥٢) وفى السادس والعشرين من هذا الشهر جاء النعمان من الجنوب ودخل بلاد الحرانيين وخرب ونهب وأسر الناس والقطيع وممتلكات جميع بلاد الحرانيين. وجاء حتى الرها مخربا وناهبا سابيا كل القرى . وبلغ عدد الذين سيقوا فى الأسر ١٨٫٥٠٠ خلا هؤلاء الذين قتلوا وخلا البعير والممتلكات . وكان النهب من كل نوع . وكان السبب فى وجود كل هؤلاء الناس فى القرى أنه كان زمن الحصاد إذ لم يخرج القرويون وحدهم للحصاد بل خرج كذلك كثير من الحرانيين والرهاويين، فأسروا . ولهذا أخذت الرها ووضعت تحت الحراسة وحفرت الخنادق وأصلح السور وأقيمت بوابات المدينة بكتل من الحجارة لأنها تآكلت واردوا تجديدها وعملت قضبان لقناطر النهر حتى لايستطيع أحد الدخول ، ولكنهم لم يجدوا حديدا كافيا للعمل . فصدر أمر بأن يقدم كل منزل فى الرها عشرة أرطال من الحديد . فلما

---

(١) أو تل بسمة غرب ماردين .

حدث هذا تم العمل . وعندما رأى أوجينوس أنه لايستطيع أن يتقابل مع كل الفرس قاد مابقى له من الجند ونزل على معسكرهم فى تيود وسيويولوس وخرب كل ما كان بها واسترد المدينة .

(٥٣) أما قباذ فكان لايزال يحارب ضد آمد ويجاهد ويعمل ليرتفع بالذى سقط وأمر الفرس بأن يملؤه بالحجارة والأخشاب ويحضروا ملابس من الشعر والصوف والكتان ويعملوها على هيئة حقائب أو زكائب (١) ويملئوها ترابا ويبنوا فوق هذا المنجنيق الذى عدل أمام السور قليلا . عندئذ ركب الآمديون آله – التى سماها الفرس الكسارة – لأنها احبطت كل عملهم واهلكتهم وقد قذف الآمديون بهذه الالة حجارة كثيرة كل واحدة منها تزن أكثر من ثلاثمائة رطل . وهكذا تمزقت مظلة القطن التى كان الفرس يستظلون تحتها وشحن الذين كانوا يقفون تحتها كذلك كسر رأس الدكر من الانهيار الدائم للحجارة التى كانت تلقى بغير توقف . ولم يستطع الآمديون أن يحطوا الفرس بأى وسيلة أخرى غير الحجارة الكثيرة بسبب مظلة القطن التى ضوعفت مرات كثيرة فوق السد . وصب عليها الفرس ماء ولم تتحطم بالرماح بسبب سمكها أو بالنار لبلولتها . ولكن تحطمت المظلة والرجال ومعدات الأسلحة بهذه الحجارة الكبيرة التى القيت عليها من الكسارة . وهكذا هزم الفرس وكفوا عن العمل فى المنجنيق وانتصحوا وعادوا إلى بلادهم لأنه خلال الثلاثة اشهر التى مكثوا بها هلك ٥٠٫٠٠٠ منهم فى الحرب التى كانت تدور كل يوم ليلا ونهاراً . أما الامديون فقد اعتمدوا على نصرهم واغتروا بهذا الايمان ، ولم يحرسوا السور بعناية كما فعلوا قبلا .

---

(١) الكلمة فى السريانية Shlief وأعتقد أن كلمة شليف المستعملة فى ريف مصر مأخوذة عن هذه الكلمة السريانية .

وفى العاشر من شهر كانون الاخر (يناير) شرب حراس السور كمية كبيرة من الخمر بسبب البرد ، فلما جاء المساء ناموا وراحو فى سبات عميق ، وترك آخـرون حراستهم بسبب سقوط المطر ، ونزلوا ليختبئوا فى بيوتهم . وفى أثناء ذلك الاهمال ـ كما نعتقد — أو بسبب الخيانة — كما يقول الناس — أو كعقاب من الله استولى الفرس على سور آمد بواسطة سلالم بدون أن تفتح الأبـواب أو يحطم السور . وخربوا المدينة وسلبوا ممتلكاتها فى ودلسوا الخبز المقدس وسخروا بقداسها وجردوا هيا كلها ، واسروا سكانها ماعدا المسنين والمشوهين والذين اختبأوا . وتركوا هناك حامية من ٣٠٠٠ رجل ونزلوا كلهم إلى جبال شيجار (١) . وحتى لايتضايق الفرس الذين كانوا هناك من رائحة جثث الادميين اخرجوهم ووضعوهم فى كومتين خارج البوابة الشمالية وكان عدد هؤلاء الذين اخرجوهم خارج البـوابة الشمالية يربو على ٨٠,٠٠٠ عدا هؤلاء الذين اخرجوهم احياء ، ورجموهم خارج المدينة ، وخـلا هؤلاء الذين طعنوا من فوق هذا المنجنيق الذى اقاموه وخلا هؤلاء الذين القوا فى النجلة والذين ماتوا بشتى أنواع الموت ولا نستطيع أن نقص عن موتهم .

(٥٤) عندئذ أرسل قباذ روفينوس أن يذهب ويخبر الملك عما حدث . أما هو فقد تحدث عن هذه الفظائع فى كل مـكان . من هـذه الأشاعات خافت المدن التى فى شرق الفرات واستعد (سـكانها) للهرب إلى الغرب . أما يعقوب السريودوتى (٢) الوقور — الذى عمل فصولا كثيرة على اجزاء من الـكتاب المقدس ، وعمل اشعارا

---

(١) وهى فى الفارسية والتركية ستجار .

(٢) قسيس زائر ثم أصبـح بعد ذلك اسقفا لبطنان فى سروج وكان ذا إنتاج وفير بين الـكتاب السريان (ت٥٢١م) انظر السمعانى المـكتبية الشرقية ج١ ص٢٨٣ وما بعدها .

وتراتيل عن زمن الجراد — فلم يكن مقصراً في ذلك الوقت في واجبه بل كتب رسائل تحذير لكل المدن لكي يثقوا في الخلاص الالهي ، وينصحهم بعدم الهرب. وحينما سمع ذلك الملك انستاس ارسل جيشا كبيرا من الروم ليقضوا الشتاء في هذه المدن ويحرسوها . ولم يقنع قباذ بكل الاسلاب التي اخذها والاسرى الذين قادهم، ولم يرتو من الدماء الكثيرة التي اراقها بل ارسل سفراء للملك أن : ابعث إلي بالذهب والا توقع الحرب وكان ذلك في شهر نيسان (أبريل) عندئذ لم يرسل الملك الذهب بل استعد لينتقم ويفرض تعويضا عمن هلكوا .

وفي شهر ابار (مايو) ارسل عليه ثلاثة قواد :اريوبيندوس ، فطريقيوس ، — وهيباتيوس ومعهم قواد كثيرون ونزل اريوبيندوس وعسكر على الحدود بجانب دارا وعمودين (١) تجاه مدينة نصيبين ، وكان معه ١٢٫٠٠٠ رجل . أما بطريقيوس وهيباتيوس فعسكرا على آمد ليطردوا من هناك الحامية الفارسية وكان معهم ٤٠٫٠٠٠ رجل . ونزل أيضا في ذلك الوقت مأمور التعيينات ابيون ومكث في الرها ليزود جيش الروم الذي معهم بزاده . ولما كان الخبازون لايستطيعون عمل الخبز أمر بأن يوزع القمح على جميع بيوت الرها ليعملوا خبزا على نفقتهم . وقد انتج الرهاويون في الفترة الأولى ٦٣٠٫٠٠٠ مد .

(٥٥) وحينما رأى قباذ ان اتباع اريوبيندوس قليلو العدد ارسل عليهم الجيش الذي كان معه في شيجار وعدته ٢٠٫٠٠٠ فارس. فطاردهم اريوبيندوس مرتين حتى وصلوا إلى بوابة نصيبين — وهم مهلكون وأختنق كثير من الهاربين عند البوابة وهم يتزاحمون على الدخول .

وانضم في شهر تموز (يوليو) الهون والعرب مع الفرس لينقضوا عليه ، وكان

---

(٣) في الجنوب الغربي من دارا .

قسطنطين على رأسهم . فلما علم بذلك من الجواسيس أرسل كاليبوالحلبي إلى فطريقيوس وهيباتيوس قائلا : تعالوا وساعدوني لان جندا كثيرين يستمدون للمجيء علينا ، ولكنهم لم يسمعوا له وظلوا في اماكنهم بجوار آمد . وحينما جاء الفرس على مواقع اريوبندوس لم يستطيع أن يحاربهم فترك معسكرهم وهرب إلى تلا والرها، وسلبت امتعتهم ونهبت .

(٥٦) أما أتباع فطريقوس وهيباتيوس فكانوا يركبون ثلاثة أبراج من الخشب ليتسلقوا أسوار آمد . وعندما تم بناء الابراج بنفقات كثيرة وتقوت بالحديد حتى لايتلفها شيء عندئذ أكتشفوا ماحدث على الحدودفاحرقواالابراج ورحلوا من هناك وجاءوا وراء الفرس ولكنهم لم يدركون. وتربص أحد القوادواسمهٔفارزمان وآخر واسمه تيودور ومعهم جيوشهم في كمين . ثم أرسلا كخدعة قطيعا ليمر عند آمد فلما رأى الفرس القطيع من داخل آمد خرج منهم حوالى ٤٠٠ رجل مختار ليخطفوها فخرج الروم المتربصون بالكمين واهلكوهم وأخذوا قائدهم حيافوعدهم بان يسلمهم آمد لذلك عاد فطريقيوس وهيباتيوس الى هناك . ولما لم يستطيع هذا القائدالوفاء بوعده — لانه لم يستمع له هؤلاء الذين بداخل المدينة — أمر القائد بصلبه .

(٥٧) عندئذ جاء عرب الفرس حتى خابور فخرج عليهم تيموسطرطا قائد الرقة وابادهم . كما ذهب عرب الروم والذين يدعون الثعلبيين (١) — إلى حيرة النعمان فوجدوا قافلة صاعده اليه وجمالا محمولة له، فانقضوا عليها وابادوها وسبوا الجمال، ولكنهم لم يقيموا بالحيرة لان سكانها دخلوا إلى أعماق الصحراء .

وفي شهر آب (أغسطس) تجمع ثانية جيش الفرس مع الهون والقادشيين والارمينيين وجاءوا حتى القدين (٢) فسمع اتباع قطريقيوس بذلك وهبوا للخروج عليهم ولما

---

(١) بنو ثعلبة الفرع الرئيسي من قبيلة بكربن وائل وكانت تشغل حيزا كبيرا في الصحراء السريانية بين مملكة الحيرة في الشرق والغساسنة في الغرب وكان يحكمهم ملوك كندة وكان ملكهم انذاك هو الحارث بن عمرو .

(٢) قرية على نهر خابور بين مكسين وقرقسيا . انظر معجم البلدين لياقوت .

كان الروم فى الطريق — ولم ينتظموا للحرب بعد — هاجم الفرس المقدمة وأهلكوها ولما ولى الادبار هؤلاء الذين هزموا ورأى بقية جيش الروم أن المقدمة قد ابيدت حل بهم الخوف ولم يصمدوا للحرب وعاد فطريقوس أولا وتبعه الجيش كله، وعبر نهر الفرات واجتمعوا فى مدينة سميساط (١) . وقد جرح فى هذه الحرب النعمان ملك عرب فارس . أما أحد قواد الروم ويدعى بطرس فقد هرب إلى قلعة اشبارين ، فلما أحاط الفرس بالقلعة خاف منهم ابناء الحصن وسلموه لهم وقاده الفرس اسيرا وقتلوا الروم الذين معه ، ولم يمسوا ابناء الحصن بأذى .

(٥٨) عندئذ فكر قباذ ملك الفرس أن يأتى الى اريوبندوس فى الرها ، وكان النعمان ملك العرب يحرضه بسبب الذى حدث لحاميته . وقد اجاب أحد رؤساء قبيله من حيرة النعمان — وكان مسيحيا — قائلا : لاتتعب ملكك فى الذهاب الى الرها للحرب لانه وفقا لكلمة المسيح — المعصومة من الخطأ والتى نقدسها — لن يتسلط عليها عدو إلى الابد فلما سمع النعمان هذا اقسم بانه سوف يلحق الاذى بالرها أكثر من الأذى الذى حل بمن فى آمد وتفوه بالفاظ الكفر . وقد أظهر به المسيح علامة واضحة لانه فى نفس الوقت الذى كفر فيه تورم هذا الجرح الذى كان فى رأسه ، وتورمت كل رأسه فقام وذهب إلى مسكنه ، وظل فى هذا الالم يومين ثم مات . والجرأة قباذ لم تثنه هذه العلامة عن مقصده السيء فعين ملكا بدل النعمان ثم ذهب إلى الحرب ، ولما مضى إلى تلا عسكر عليها . عندئذ فكر اليهود الذين كانوا هناك أن يسلموا له المدينة . فحفروا حفرة فى مجمعهم الذى وكانت دراسته إليهم واخبروا الفرس لكى ينقبوا ويدخلوا منه. فاكتشف ذلك القائد بطرس الذى كان مأسورا وأغرى حراسة لكى يقترب من السور بحجة أن له ملابس

« ١ » مدينة بالقرب من تل بسمه .

وأدوات من أنواع شتى موجودة له فى المدينة ، ويريد من التلاويين (أهل تلا) ردها إليه . فاستجابت له الحراس وقربوه . أما هو فطلب من العاملين القائمين على السور أن ينادوا له القائد لونطيوس - الذى كان يحرس المدينة فى ذلك الوقت - فنادوه هو والقواد فتكلم معهم بطرس بالرومانية وأوضح لهم خيانة اليهود . وطلب منهم أن يعطوه زوجا من اللابس(١) حتى لاينجلى شىء للفرس . وقد أدعوا فى بادىء الأمر بأنهم غاضبون عليه ثم رموا له بعد ذلك زوجا من اللابس ، وقد كان فى الحقيقة فى حاجة إلى ملابس يلبسها . ثم نزل من السور وكأنهم لم يعرفوا شيئاً عن خيانة اليهود. ولما لم يكونوا على علم بالمكان لفوا حول أساس السور كله واختبروه كأنهم أرادوا رؤية ما إذا كان فى حاجة إلى تقوية . وقد فعلوا هذا من أجل بطرس حتى لايعلم الفرس بأنه كشف الموضوع ويضطهدونه . وفى النهاية جاءوا إلى هذا المكان الذى كان يحرسه اليهود. فوجدوا حفرة كبيرة محفورة ومعدة داخل المجمع كما قيل لهم . فلما رأى الروم ما كان هناك هجموا عليهم بغضب كبير وداروا حول المدينة كلها وأبادوا جميع اليهود الذين وجدوهم رجالا ونساء ، وشيوخا وأطفالا . وقد فعلوا ذلك أياما . وقليلا ما كانوا يتوقفون عن إبادتهم بأمر من لونطيوس القائد وبتوسلات ابن حداد الأسقف الطيب ، وحرسوا المدينة جيداً ليلا ونهارا . بينما القديس ابن حداد كان يدور كل يوم يزورهم ويصلى من أجلهم ويباركهم ويمدح عنايتهم ويشجعهم وينثر عليهم وعلى سور المدينة ماء المعمودية . وكان يحمل معه فى تجولاته الخبز المقدس ليتقبلوا السر وهم فى أماكنهم حتى لايترك أحد منهم حراسته وينزل من فوق السور لهذا السبب . وذهب هو بنفسه إلى ملك الفرس وتكلم

---

(١) يقصد بها زوجا من النعال أو السراويل .

معه وطيب خاطره . فلما رأى قباذ وقار الرجل وشعر بتيقظ الروم تبين له أنه ليس من الفائدة أن يظل عاطلا أمام تلا بكل ذلك الجيش الذى كان معه أولا : لأنه لم يجد زادا له فى ذلك المكان الخرب . ثانيا : لأنه كان خائفا أن تجتمع قواد جيش الروم مع بعضهم البعض ويهجمون عليه جميعا . لهذا ارتحل بعد قليل إلى الرها وعسكر بجوار نهر جلاب(١) — الذى يدعى ميديا — حوالى عشرين يوما .

(٥٩) وقد حاصر الآقوياء من جيشه القاطمة وخربوها . وفى السادس من أيلول (سبتمبر) هدم الرهاويون كل الأديرة والخانات القريبة من السور وأحرقوا قرية كفرصلم التى تدعى النقب وقطعوا سياج الحدائق والمتنزهات التى حولها وقطعوا الأشجار التى بداخلها . وادخلوا اعظام جميع الشهداء التى كانت حول المدينة ووضعوا أسلحة فوق السور وربطوا اغطية من الشعر فوق الشرافات .

وفى التاسع من هذا الشهر ارسل قباذ لاريوبيندوس : أما أن يستقبل فى المدينة قائده أو يخرج إليه فى السهل لأنه يرغب فى عقد معاهدة سلام معه . وأمر جيشه فى الخفاء بأن يستديروا ويسيطروا على بوابة المدينة ومدخلها أن سمح لهم اريوبيندوس بدخول المدينة حتى يحضر ويدخل وراءهم ، أما أن خرج اليهم فليكمنوا ويخطفوه حيا ويحضروه عنده ، ولكن اريوبيندوس — لأنه كان خائفاً من السماح لهم بدخول المدينة — خرج اليهم بينما لم يبعد كثيراً عن المدينة الا حتى بيت مارسرجيوس وجاء اليه باوى (٢) الذى هو الاصطهبذ (٣) والذى يفسر بقائد الفرس ، وقال

---

(١) ويقع شرقى الرها ويجرى جنوب مدينة بلخ حتى يصل إلى ديصان (قراقودم) بالقرب من حران .

(٢) ربما تكون الكلمة الفارسية "بويه" وقد قامت دولة البويهيين بعد الفتح الإسلامى

(٣) كلمة فارسية بمعنى قائد الجند .

لاريوبيندوس : إذا اردت أن تقيم السلام اعطنا عشرة الاف رطل من الذهب وتبرم معنا عقداً بأن تسلم لنا هذا الذهب كل سنة كمادة . فوعد اريوبيندوس بتسليم سبعة الاف رطل ، ولكنهم رفضوا وظلوا يساومونه حتى الساعة التاسعة فى الصباح. ولما لم يجدوا الفرصة لخيانته بسبب حراسة الروم له وخوفا من محاربة الرها مرة ثانية بسبب ما حدث للنعمان تركوا اريوبيندوس فى الرها وذهبوا لمحاربة حران بينما ارسلوا جميع العرب إلى سروج . أما الريفى الذى كان موجوداً فى حران فقد خرج سرا من المدينة وانقض عليهم وقتل منهم ستين رجلا وأخذ قائد الهون حيا . ولما كان الرجل معروفا وعزيزاً عليه فقد وعد ملك الفرس الحرانيين بانه لن يشن الحرب عليهم إذا سلموه له حيا . أما هؤلاء فقد خافوا من الحرب وسلموا ذلك الهونى بينما ارسلوا معه — تعظيما له — الف وخمسمائة كبش مع اشياء اخرى .

(٦٠) أما عرب فارس الذين ارسلوا إلى سروج فقد ذهبوا حتى نهر الفرات مخربين وسابين وناهبين كل ما وجدوه . وقد جاء فى ذلك الوقت من النوب فطريقيوس وهو احد الضباط الرومان مع ابنه فيتالينوس لينزلا للحرب . وكان فطريقيوس واثقا من نفسه وغير خائف لأنه لم يكن حتى ذلك الوقت على علم بهذه الاشياء التى حدثت من قبل . فلما عبر النهر قابل احد قواد الفرس وحاربه واهلك كل من معه من الفرس . ثم اتجه ناحية الرها ، وسمع من الهاربين أن قباذ حاصر المدينة ، فعاد وعبر النهر وانتظر فى سميساط .

وفى السابع عشر من هذا الشهر يوم الأربعاء راينا كلمات المسيح ووعوده لابجر قد تحققت اذا جمع قباذ كل قواته وارتحل من نهر الفرات وجاء وعسكر على الرها وقد امتد معسكره من بيت الشهداء مارقوزما ومارودومينا — معسكرين — على جميع الحدائق وعلى بيت مار سرجيوس وقرية

بسكين (١) — حتى كنيسة المترفين ، وكان عرضها حتى جسرف صيرين (٢) واحاط — فى يوم — بالرها هذا الجيش الذى بغير حصر وذلك خلاف الحراس الذين وضعوا له فوق الجبال والمرتفعات . وقد امتلأ بهم السهل وكانت بوابات المدينة كلها مفتوحة ، ولكن لم يستطع الفرس دخولها من أجل بركة المسيح اذا حل بهم الخوف وظلوا فى أماكنهم — بينما لم يقترب منهم احد — من الصباح وحتى الساعة التاسعة . ثم خرج البعض من المدينة وحاربوهم وقتلوا كثيراً من الفرس أما هم فلم يسقط منهم إلا واحد . عندئذ كانت النسوة يحملن المياه ويخرجن من السور ليشرب المحاربون . أما الأولاد الصغار فكانوا يقذفون الحجارة بالمقاليع . ولكن القليلون من الناس الذين خرجوا من المدينة طردهم وأبعدهم من جانب السور لأنهم لم يكونوا بعيدين عنه إلا بمقدار قاب قوس ، فذهبوا وعسكروا بجانب مدينة القباب(٣) .

(٦١) وفى اليوم التالى خرج آريويندوس ثانية من البوابة الكبيرة . وبينما كان واقفا تجاه جيش الفرس أرسل إلى قباذ . هاانت ترى بالخبرة أن المدينة ليست لك ولا لانستاس ولكنها مدينة المسيح الذى باركها ووقف ضد جيوشك حتى لا يتسلطوا عليها

---

(١) ربما كانت هذه المدينة فى الجنوب أو الجنوب الشرقى لكنيسة سيرو جو ويسميها السمعانى باكين ومارتن بوكين .

(٢) يكتبها السمعانى صارين ومارتن يذكرها على أنها Tsarein أما هوفمان فيؤكد أنها صرين وهى على الشاطىء الشرقى لنهر Germishchai فى الطريق من البوابة الكبيرة إلى تلا وماردين أما رايت فيحاول أن يذكرها على أنها صهين .

(٣) ربما تكون مدينة القباب هى دير القباب وهى تقع فى الجنوب الشرقى من الرها تجاه حران حيث تراجع قباذ .

فارسل له قباذ:أن أعطى وعودا بانكم لن تخرجوا ورائى وأنامستعدللذهاب وأرسل إلى هؤلاء الرجال الذين قبضت عليهم والذهب الذى وعدت به وأنا سوف أذهب بعيدا عن المدينة فاعطاه اريوبندوس بازل القائد والرجال الذين أخذهم منه وكان عددهم اربعة عشر رجلا ، وعقدوا معه معاهدة بان يعطوه الفى رطل من الذهب فى نهاية أثنى عشر يوما .ورفع قباذمعسكره وذهب وعسكر بدهبانا(١) ولم ينتظر حتى اليوم المحدد بل أرسل فى اليوم التالى واحداً من رجاله يدعى هورميزد وأمرة بان يحضر ثلاثمائة رطل من الذهب . فجمع اريوبندورس عظماء المدينة ليفكروا كيف يجمعون هذ المال ولما راوا أن هورميزد قد جاءهم على عجل قووا قلوبهم وقالوا لاريوبيندوس لن نرسل الذهب لهذا الرجل المخادع لانه عاد ونكث وعده ولم ينتظر اليوم المحدد له وهكذا سوف يعود ويخدع حينما يأخذ الذهب .ونحن نعتقد أنه إذا حارب معنا فسوف يخزى لان المسيح يقف أمام مدينته عندئذ تشجع أريوبيندوس وأرسل إلى قباذ لقد علمنا الآن أنك لست بملك فليس بملك من يعد ثم يعود ويخدع . وأن خدع فهو ليس بملك وبما أنه قد وضح نفاقك فاعد الى بازل القائد واصنع ما أنت بقادر عليـــه .

(٦٢) عندئذ اشتعل قباذ غضبا وسلح الأفيال التى معه ورحل هو وجميع جيشه وجاءوا ثانياً ليحاربوا الرها فى الرابع والعشرين من شهر أيلول (سبتمبر) فى يوم الاربعاء وحاصر المدينة من جميع الجهات (حصارا) اشد مما سبق ، وبينما كانت جميع البوابات مفتوحة أمر اريوبيندوس الروم بعدم محاربته حتى لايظهر خداعا من

---

(١) وتسمى الذهبانية أو الذهبانة وهى تقع جنوب الرها عبرحران فى الطريق إلى الرقة.

ناحيتــه ضده . وعندئذ خرج اليه بالمقاليع بعض القرويين الذين كانوا فى المدينــة وأسقطوا كثيرا من المدرعين الذين معه بينما لم يسقط منهم واحد . عندئذ أرادت — فيالقة جريئة أن تدخل المدينة ، وما أن اقتربوا من البوابات حتى ثارت كانت أكمة عالية من التراب فخضعوا وذلوا ثم عادوا . وبسبب سرعة الذين تركوا خيولهم اختلط بهم القلاعون . وبينما الرماح تفرق الفرس والصولجانات يهزها الهــونيون والرماح يصوبها نحوهم العرب ليصيبوا واحدا منهم ولم يستطيعوا لم يـكونوا الا مثــل هؤلاء الفلستيين الذين خرجوا ضد شمشون فبالرغم من أنهم كانوا كثيرين ومسلحين لم يستطيعوا قتــله بينما هو — وهو مجرد من السلاح — قتــل ألفا منهم بفك الحمار . كذلك الفرس والهون والعرب بينما كانوا يسقطون بالحجارة التى كان يقذفها القلاعون لم يستطيعوا أن يقتلوا واحدا منهم ، وبعد أن رأوا أنهم لن يستطيعوا دخول المدينة أو إيذاء الناس العزل الذين كانوا مختلطين بهم أشعلوا النار فى كنيسة سانت سرجيوس وكنيسة الشهداء وجميع الأديرة القائمة وكنيسة النقب ولهذا تركها سكان المدينة .

(٦٣) وحينما رأى القــائد أريوبيندوس حمــاس القرويين وأنهم لم يخزوا وأن العناية (الإلهيــة) رافقتهم ، جمع فى اليوم التــالى القرويين كلهم الذين فى الرها فى الـكنيسة وأعطاهم ثلاثمــائة دينار هدية . وارتحل قباذ من الرها وذهب وعسكر على نهر الفرات ومن هناك أرســل رسلا إلى الملك يخبره بمجيئه . أما العرب الذين كانوا معــه فقــد عبروا النهر إلى الغرب ونهبــوا وأهلـكوا وأسروا وأحرقوا كل ما وجدوا ، وذهب قليل من فرسان الفرس إلى بطنان ، ولما كان سورها مفتوحا لم يستطيعوا أن يقاوموهم بل استقبلوهم بدون حرب وسلموا لهم المدينة .

(٦٤) سنة ٨١٥ (٥٠٣/٤م) حينما علم ملك الروم بالذى حدث أرسل قائده كلير مع جيش كبير. وحينما سمع قباذ بهذا وجه مسيرتهم عبر نهر الفرات حتى يستطيع أن يذهب ويستقر فى بلده التى تدعى بيت الآراميين (١) . وحينما جاء بالقرب من الرقة أرسل إلى هناك قائدا ليحارب معهم . فخرج عليه القائد تيموسطرطا وأباد جيشه كله ، أما هو فقد أخذه حيا . وحينما وصل قباذ إلى المدينة جند قوته كلها ضده مهددا بإبادتها وإخراج كل شعبها بالسلاح وبالأسر إذا لم يسلموه له . فخاف القائد من كثرة جيش الفرس وسلمه .

(٦٥) وحينما وصل القائد كلير الى منبج التى على نهر الفرات ورأى أن قباذ قد ارتحل من أمامه وأن زمن الشتاء قد حل ثانية ولن يستطيع الذهاب وراءه ، دعا قواد الروم — لعدم اتفاقهم — وقسم لهم المدن لكى يقضوا الشتاء بها حتى يوم الحرب .

(٦٦) وفى الخامس والعشرين من كانون الأول (يناير) صدر أمر من الملك بأن ترفع الضرائب عن كل مابين النهرين . وحينما رأى الفرس الذين بآمد أن جيش الروم ابتعد عنهم فتحوا بوابات مدينة آمد وخرجوا . ثم دخلوا المكان الذى يريدونه وباعوا للتجار نحاسا وصفيحا وحديدا وملابس قديمة وكل شىء وجد بها وأقاموا بها معرضا عاما وحينما سمع فطريقيوس بذلك خرج من ملطية حيث كان يقضى الشتاء . وجاء وعسكر فى آمد . وقتل كل التجار الذين وجدهم وينزلون إلى هناك حبا وزيتا وكذلك من كانوا يشترون شيئاً من هناك . كذلك وجد الفرس الذين أرسلهم قباذ لكى يحضروا إلى هناك السلاح والحب والقطيع فأبادهم وأخذ

---

(١) وهى الجزء الشمالى من بابل ويطلق عليها سواد الكوفة حيث توجد سلوقيا وقاطيسفون وكوش وما حوزا .

كل مامعهم . وحينما علم قباذ أرسل إليه قائدا ليثأر منه فلما اقتربوا من بعضهم البعض للحرب نصح الروم فطريقيوس بالهرب خوفا من الهزيمة السابقة فاستمع لهم . وفى إسراعهم — ولا يعلمون إلى أين يذهبون — جاءوا والتقوا بنهر يدعى القلت ، ولأن الفصل شتاء ، والفيضان غزير لم يستطيعوا عبوره ، وكل من أسرع منهم فى عبور النهر غرق مع فرسه ، وحينما رأى فطريقيوس ذلك شجع الروم قائلا : يارجال الروم لا تخزوا شعبنا ومعتقداتنا ونهرب مع أعدائنا ولكن لنكر عليهم فربما نكون ندا لهم . وأن تقووا علينا فالأفضل أن نموت بحد السيف شجعانا من أن نهلك كالجبناء غرقا بالماء . عندئذ استمع الروم لنصيحته مكرهين من النهر ، واستداروا إلى الفرس بغضب وهزموهم وأخذوا قوادهم أحياء . وبعد ذلك عادوا وعسكروا فى آمد ، وأرسل فطريقيوس فجمع لديه عمالا من مدن أخرى ومن قرى كثيرة وأمرهم بأن يحفروا بالأرض حفرة تحت السور ليضعف ويسقط .

(٦٧) فى شهر آذار (مارس) حينما كان بقية الروم مجتمعين لينزلوا مع الحاكم جاءهم من الله ماشجعهم وجعلهم يثقون فى النصر . وقد علمنا هذا بكتاب من أبناء كنيسة زوجما(١) . وحتى لايظن أننى أقول شيئا من عندى أو أنى استمعت إلى إشاعة كاذبة وصدقتها اقتبست نفس كلمات الخطاب الذى جاء لنا وهى كالآتى : —

(٦٨) والآن استمع إلى مشهد عجيب مدهش لم يحدث من قبل لأن هذا يعنيني ويعنيك ويعنى جميع الروم . فهو عمل عجيب من الصعب على عقل الرجال فهمه ، فقد رأيناه بأعيننا ولمسناه بأيدينا وقرأناه بشفاهنا . وبدون شك يجب أن تصدقوها .

ففى التاسع عشر من آذار (مارس) يوم الجمعة وهو اليوم الذى صلب فيه

---

(١) على نهر الفرات بالقرب من مدينة بيراو بيرجك

مخلصنا باضت أوزة بيضة ـ فى قرية أجار(١) فى ناحية زوجما ـ وكتبت عليها كتابات يونانية عدل ، وصدق ، واتخذت شكل البيضة وبرزت للنظر واللمس وكانت على هيئة الكتابات التى كان يكتبها سكان الأديرة على الأوانى المقدسة البركة ليستطيع أن يحس شكلها حتى المكفوفين وكانت هكذا : صليب مرسوم على جانب البيضة ويلتف تماما حول البيضة ومن هذا الطرف إلى الطرف الآخر كتب الروم . ثم رسم صليب آخر ومن هذا الطرف إلى الطرف الآخر كتب منتصرين . وقد رسمت الصلبان واحد فوق الآخر والكلمات كتبت واحدة فوق الأخرى ولم يكن هناك مسيحى أو يهودى رأى هذه المعجزة إلا وضم فمه من الدهشة أما الحروف التى رسمتها يمين الله داخل المربع فلا نجرؤ أن نقلدها لأنها جميلة جداً . وكل من يسمع عنها دعة يصدقها بدون تردد . تلك هى كلمات رسالة رب الأرباب . أما البيضة فقد أعطاها أصحاب القرية ـ التى وضعت فيها ـ إلى أريوبيندوس .

(٦٩) وبعد ذلك جمع الروم جيشاً كبيرا ونزلوا وعسكروا عند مدينة رأس العين(٢)، كما ارسل قباذ حوالى عشرة الاف رجل للهجوم على فطريقيوس، ودخلوا وعسكروا فى نصيبين ليستريحوا هناك، وارسلوا مواشيهم لترعى فى جبال شيجار وحينما سمع الحاكم ذلك ارسل تيموسطرطا قائد الرقة مع ستة الاف فارس فذهبوا وانقضوا على هؤلاء الذين يرعون الخيول وابادوهم وأخذوا من هناك خيولا وغنما واسلابا كثيرة وعادوا إلى جيوش الروم فى رأس العين، ثم رحلوا كلهم مجتمعين وذهبوا وعسكروا على مدينة آمد بجانب فطريقيوس .

---

(١) هكذا فى النص وربما لاتكون أجار بل أجاد وهى الاصح . انظر السمعانى المكتبة الشرقية ج ١ ص ٢٧٨ ع ٢٠ .

(٢) رأس العين أو يقال : رأس عين مدينة مشهورة مدن الجزيرة بين حران ونصيبين .

(٧٠) فی شهر آيار (مايو) أصبح كاليوا الحلبي قائدا ، وجاء واستقر فی الرها وأعطى الرهاويين قمحا ليصنعوا خبزا للجنود على نفقتهم . فخبزوا فی ذلك الوقت ٨٥٠٠٠ مد من القمح وذهب إبيون إلى الاسكندرية حتى يصنع خبزا للجنود ويرسله .

(٧١) وعندما وصل فطريقيوس إلى تلك الحفرة تحت سور آمد دعمها بخشب وأشعل فيها النار فتداعت الأوجه الخارجية للسور وسقطت ، ولكن ظل الجزء الداخلى ثابتا ثم فكر أن يحفر حفرة ويدخل المدينة . وحينما أتم الحفر وبدأ الروم يصعدون رآهم إمرأة آمدية ومن فرحتها صرخت فجأة :هاهم الروم يدخلون المدينة فيسمعها الفرس وأسرعوا إلى أول واحد صعد وطعنوه . ثم صعد غوطى اسمه ألد — كان محاميا فی حران — وطعن ثلاثة من هؤلاء الفرس ولم يخرج أحد من الروم بعده لأن الفرس شعروا بهم وحينما رأى ألد أنه لم يصعد أحد خاف وعاد وفكر أن ينزل معه جثة الرومى الذى سقط حتى لايمثل بها الفرس . وبينما هو يسحب الجثة وينزل إلى فوهة الحفرة طعنه الفرس وجرحوه ووجهوا إلى هناك ماء من عين كبيرة كانت قريبة لها وغرق هناك أربعة من الروم المدرعين كانو يستعدون للصعود . وفر الباقون وخرجوا من هناك . فجمع الفرس حجارة من داخل المدينة وردموا الحفرة ، وأهالوا عليها ترابا كثيرا وحرسوا بعناية كل ماحولها مخافة أن تحفر من مكان آخر . وحفروا خنادق حول السور من الداخل وملأوها بالماء حتى إذا أراد الروم أن يعملوا حفرة أخرى يسيل الماء داخلها فتعرف فلما علم فطريقيوس ذلك — من هارب نزل إليه — أوقف الحفر .

(٧٢) وفى أحد الأيام بينما جيش الروم كله ساكن وهادئ اشتعلت الحرب هكذا كان صبي يرعى الجمال والحمير ، فذهب حمار — وهو يرعى — ودخل عند

السور فخطف الصبي أن يدخل ويحضره فلما رآه أحد الفرس تدلى بحبل من السور وأراد أن يمزقه ويحمله ليكون طعاما لهم لعدم وجود اللحم بتاتا بداخل المدينة . وعندئذ استل أحد عمال الروم — واصلة جليلي — سيفه وأخذ درعه في يساره وجرى إلي الفارس ليقتله ، ولما اقترب من السور ألقى من كانوا فوق السور علية حجراً كبيرا فسحق ذلك الجليلي ، وبدأ الفارسى يصعد إلى مكانه بالحبل ولما بلغ منتصف السور اقترب أحد الضباط الروم — بينما يمشى أمامه إثنان من حاملى الدروع — وأطلق سهما من بينهما فضرب ذلك الفارسى وطرحه بجانب ذلك الجليلي فعلت صرخة من كلا الجانبين ولهذا ثاروا وهموا للحرب . وأحاطت كل جيوش الروم بالمدينة فى وحدة مجتمعين وسقط منهم أربعون رجلا بينما جرح مائة وخمسون . وقد شوهد تسعة فقط ماتوا من الفرس الذين كانوا فوق السور . وقليلون جرحوا إذ كان من الصعب محاربتهم لأنهم كانوا فوق قمة السور إذ كانوا قد بنوا بيوتا صغيرة لهم على السور كله وكانوا يقفون بداخلها ويحاربون ، لذلك لم يرهم هؤلاء الذين فى الخارج .

(٧٣) عندئذ فكر الحاكم والقواد أنه لايجب أن يحاربوا معهم إذ لن يكون النصر للروم بقتلهم بل يكون بالحرب ضد الفرس اجمعين ، فان هزم قباذ يسلم هؤلاء انفسهم أو يهلكوا فى سجنهم . ولهذا أمر بالا يحاربهم أحد حتى لايتشتت عدد كبير من الجيش بسبب هؤلاء الذين يموتون أو يجرحون من الروم .

(٧٤) فى شهر حزيران (يونيو) حينما رأى قوسطنطين — الذى ذهب مع الفرس — أن أمورهم لن تنصلح ، هرب هو واثنتان من النساء المعروفة فى آمد كان ملك الفرس قد وهبهما له وسافر ليلا ونهارا اربعة عشر يوما خلال الصحراء — التى ليس بها أحد مع أتباع قليلين . وعندما وصل إلى الأمان عرف بنفسه لعرب الروم فقادوه وأحضروه

إلى القصر الذى يدعى شورا (١) ومن هناك أرسلوه إلى الرها . وعندما سمع الملك بوصوله أرسل فى أثره ولما وصل ليمثل أمامه أمر واحدا من الاساقفة بأن ينصبه كاهنا وأن يذهب ليعيش فى مدينة نيقية وإلا يظهر أمامه أو يتدخل فى شىء .

(٧٥) أما قباذ فعندما استولى على آمد دخل الحمام العام الذى له ، ولما اختبر فائدة الاستحمام ، أمر فى الحال-عندما ذهب إلى قريته -بأن تبنى الحمامات فى جميع مقاطعات الدولة الفارسية وقد اذعن عديد (٢) العربى - الذى كان خاضعاً للفرس هو وجيشه واصبح تابعا للروم .

ومرة أخرى فى شهر تموز (يوليو) حارب الروم ضد الفرس الذين كانوا فى آمد وضرب جناس قائد عرب (٣) كثيرا منهم بالسهام ولما اشتدت حرارة اليوم سخن عليه درعه ففك رباط حزامه قليلا . وبينما كانوا يضربون سهاما من المنجنيق من آمد اصابوه ومات وعندما رأى الحاكم أن ضررا بالغا أصابه من سكنه فى آمد قاد جيشه ونزل إلى مقاطعة الفرس تاركا فطريقيوس عند آمد . كذلك قاد اريوبندوس جيشه ودخلوا ارمينية الفرس وابادوا من الارمينيين والفرس عشرة الاف رجل وأسروا ثلاثين الف أمراة وطفل ونهبوا وأحرقوا قرى كثيرة . وحينما عادوا اليدخلوا آمد قادوا معهم ١٢٠٠٠٠ رأس وثيران وبعير . وبينما كانوا يمرون بجوار مدينة نصيبين اختبأ الروم فى كمين . وقاد السبى قليلون . وعندما رأى أحد المرازبة - الذى كان هناك - انهم قليلون سلح كتائبه وخرج لكى يسلبها منهم وتظاهروا بالهرب فتشجع الفرس وتبعوهم . ولما ابتعدوا عن أماكنهم خرج الروم من الكمين وابادوهم ولم يهرب منهم أحد . وكانوا حوالى سبعة

---

(١) عرفنا هذا الهارب قبل ذلك وكان فى نصيبين وربما هرب بعد ذلك وعبر الصحراء فى الجنوب الغربى حتى قرب من الفرات عند سورية بالقرب من الرقة .
(٢) شيخ قبيلة .
(٣) وهو اسم المكان الذى حول دمشق .

الاف رجل . وكذلك سلم موشلج الارمينى ـ الذى كان خاضعاً للفرس ـ نفسه وكل جيشه وخضع للروم .

(٧٦) سنة ٨١٦ (٥ / ٥٠٤م) وكان المحاربون ومن أخطأهم السلاح ممن بقى من سكان آمد فى محنـة وكرب شديد بسبب الجوع . فخاف منهم الفرس خشية أن يسلموا المدينة للروم . فأوثقوا كل الرجال الذين كانوا هناك والقوهم فى الدرج وهـكذا هلـكوا من الجوع ومن القيد اللانهـائى . أما النساء فاعطوهن من مأ كلهم لأنهم يزنون بهم ولحاجتهم إليهن ليطحن ويخبزن لهم وحينما نقص الطعام أهملوهن وتركوهن بدون طعام لأنه فى هـذه السنة لم يتسلم أحد منهم أ كثر من قبضة شعير في اليوم بينما لم يأخذوا شيئا البتة من اللحم أو الخمر أو أى نوع آخر من المأ كولات وشيئا البتة لم يـكن لهم . ولما كانوا فى خوف دائم من الروم لم يتحركوا من مواقعهم نهائيا بل صنعوا لأنفسهم أفرانا صغيرة فوق السور واصعـدو الهم طواحين يدوية ، وفى أما كنهم طحنوا قبضة الشعيرهذه وخبزوها وأ كلوها . كذلك أصعدوا قدورا كبيرة للعجن ووضعوها بين الشرافات وملئوها ترابا وزرعوا فيها خضرا وكل ما نمـا فيها أ كلوه .

(٧٧) وفى الحـكاية عما فعلته النسوة اللائى هنـاك فربمـا لن يصدقنى من يأتى بعدنا . ولـكن فى هـذه الأيام لا يوجد أحد من هؤلاء الذين يعنيهم معرفة الأشياء لم يسمع بـكل ماجرى حتى وأن كان على بعد كبير منافهـكذا تجمعت الـكثيرات وتآمرن سويا فـكن يخرجن خلسة إلى أسواق المدينة فى المساء أوفى الصباح ويختطفن داخـل البيت من يقابلنه ـــ امرأة كانت أو طفـلا أو شيخا ممن يتغلبن عليه ـــ ويقتلنه ويأ كلنه مسلوقا أو مشويا وعنـدما عرف ذلك من ريح الشواء

ويبلغ الخبر المرزبان الذى كان هناك عذب كثيرا منهن وقتلهن واتفق مع الباقيات ألا يمدن إلا هـذا ويقتلن أحـدا . وإذن لهن بأن يأ كلن الذين ماتوا ففعلن ذلك علنا وأ كلن لحم الأموات واحذيتهم والنعال القديمة وأشياء أخرى كن يلتقطنها من الأسواق والبيوت ويأ كلنها . أما جيوش الروم فلم ينقصها شىء بل كان كل شىء يرسل لهم فى وقته وبعناية شديدة وكانت تنزل لهم بأمر من الملك وكانت الأشياء التى تباع فى معسكراتهم أ كثر مما هى فى المدن سواء من مأ كل أو مشرب أو أحذية أو ملابس وكانت كل المدن تخبز خبز الجنود بواسطة خبازيهم ويرسـل لهم ، وخاصة الرهاويون لأن المواطنين كانوا يخبزون فى منازلهم :

وفى هـذه السنة أيضا (خـبز) بأمر من كليبو القائد العام ٦٢٠٫٠٠٠ مد إلى جانب ما خبزه القرويون — فى القاطعة كلها — والخبازون الأجانب وأبناء البلد .

(٧٨) ثم صعد مرة أخرى فى هذه السنة ماربطرس الأسقف إلى الملك يطلب منـه أن يتنـازل عن الضريبة فأجاب الملك بشدة ولامه على ترك مساعده الفقراء فى زمن كهذا وصعوده إليـه فقال له حقا أن الله قد وضعها (الرحمة) فى قلبه إذ كانت المدينة المباركة جـديرة بأن يعمل لها معروف من غير أن يحثه أحـد ، وبينما كان الأسقف هناك ومن غير أن يشعر أرسـل الملك إعفاء لـكل ما بين النهرين بواسطة شخص آخر ، كما أعفى مقاطعة منبج من ثلث الضريبة .

(٧٩) أما قواد الروم الذين كانوا معسكرين فى آمد فكانوا ينزلون على أرض الفرس ناهبين وسابيين ومخربين . فأجلوا الفرس من أمامهم وعبروا نهر الدجلة . وهناك وجدوا فرسان الفرس الذين كانوا متجمعين سويا ليهاجموا الروم فتفوقوا عليهم عليهم وتوقفوا عند حدود الدجلة فعبر الروم خلفهم وأبادوا كل فرسان الفرس الذين كانوا حوالى ١٠٫٠٠٠ رجل ونهبوا كل ممتلكات الأسرى . وأحرقوا قرى كثيرة وقتلوا كل ذكر كان بها من ١٢ سنة فصاعدا . وسبوا النساء والأطفال . وهكذا أمر الحاكم جميع القواد بأن يقتلوا أى رومى يحمى ذكرا من ١٢ سنة فصاعدا بدلا منه وألا يتركوا بيتا قائما فى كل قرية يدخلونها ولهذا وزع رجالا أقوياء من الروم فتعقبوا كثيرا من القرويين وهم ينزلون . وبعد أن أحرقوا الأسطح وخمدت النار هدموا كل الأساسات كما حطموا الكروم والزيتون وجميع الأشجار ، وقد عبر عرب الروم الدجلة من قبلهم ونهبوا وسبوا وخربوا كل ماوجدوه بين الفرس .

وكما أعلم أنك تدرس كل الأشياء بعناية كبيرة كذلك يجب أن لاتتبين قداستك هذا وهو أن العرب على كلا الحالين كانت هذه الحرب سبب فائدة كبيرة لهم رغبتهم فى كلا المملكتين .

(٨٠) أما قباذ فعندما رأى أن الرومان يخربون البلاد ولا أحد يعترضهم أراد ان يأتى ويقاتلهم ، لذلك أرسل رئيس الشرطة إلى الحاكم ليفاوضه على السلام بينما كان معه جيش مكون من ٢٠٫٠٠٠ رجل وأرسل كل العلماء الذين أسرهم من آمد وبطرس الذى أحضره من أشبارين ، وبلزل الذى حمله من الرها كرهينة كذلك جثة أوليمبوس القائد — الذى كان قد نزل اليه كرسول ومات هناك — أرسلها فى تابوت ليظهر أنه مات ميتة طبيعية ولم يمت بشى خارجى وأشهد على ذلك عماله

الذين زلوا معه فنقلهم الحاكم وأرسلهم إلى الرها خلا حاكم آمـد والقائد بطرس إذا كان غاضبا وساخطا وأراد أن يقتلهم قائلا أنه بسبب إهمالهم سلمت البـلاد التى كانوا يحرسونها وقد شهد الفرس بأن سور آمد كان منيعا . عندئذ طلب منه رئيس الشرطة وتضرع إليه بأن يعطيه الفرس المحبوسين فى آمـــد بدلا من هؤلاء الذين أحضرهم لأنه على الرغم من أنهم صمدوا بسبب الخوف إلا أنهم كانوا فى شدة بسبب الجوع ولـكن الحاكم قال : لاتذكر لى موضوع هؤلاء لأنهم مسجونون فى مدينتنا وهم عبيدنا فقال له رئيس الشرطة : اسمح لى بأن أرسل لهم طعاما لأنه لا يجمل بك أن تترك عبيدك يموتون جوعا إذ أنك تستطيع أن تقتلهم متى شئت فقـــال له : رسل فقال رئيس الشرطة : أقسم لى أنت وجميع قوادك ورؤساء الجيش الذين معك أن أحداً لن يقتل هؤلاء الذين ارسلهم .فاقسموا له جميعاً ماعدانونوس القائد الذى لم يـكن معهم بتدبير سابق . أذ ان الحاكم تركه لهـذا السبب وهو إذا كان هنـاك قسم لايرتبط به عندئذ أرسل رئيس الشرطة ثلاثمائة جمل محملين باجولة الخبز موضوعا بداخلها رماح فانقض عليهم نونوس وأخذها منهم وقتل من كانوا معهم. وعندمااشتكى رئيس الشرطة من هذا وطلب من الحاكم أن يعاقب الذى فعل ذلك قال له الحاكم لا أستطيع أن أعلم من فعل ذلك بسبب كثرة عددالجيش الذى معى ولـكن إذاعلمت أنت من هو وعندك المقدرة لـكى تنتقم منه فلن اعترضك . ولـكن رئيس الشرطة خاف من ذلك وطلب السلام .

(٨١) وبعد أيام كثيرة من طلبه حدث برد شديد مع ثلج وجليد كثير فترك الرومان معسكراتهم الواحدة تلو الآخر وحمل كل واحد اسلابه وذهب لينقلها إلى بلده . أمامن بقى منهم ولم يذهبوا إلى بلادهم فقد دخلوا تلارأس العين والرها ليحتموا من البردفلمارأى رئيس الشرطة أن الروم تهاونوا ولم يصمدوا أمام البردارسل إلى الحاكم أما أن تقيم السلام وتترك الفرس يخرجون من آمد أو انتظر الحرب ، فأمر الحاكم

جوستين القائد بأن يجمع الجيش ولـكنه لم يستطع ، فلما رأى أن أ كثر الروم قد تفرقوا من حوله أقام السلام وترك الفرس يخرجون من آمد على أساس هذه الشروط : أن يحسن (السلام) فى أعـــين المللكين ويوافقـا على ما عمـل والا ســـوف تقـــوم بينما الحـــرب فلمـــا علـم بـذلك ملـك الروم أمـر بأن يقام مخزن عام فى كل مدينة وكثير منه فى آمدلوضع نهاية للمداوة وربط أواصر السلام كماأرسل إلى قباذ هدايا وعطايا مع رجل يدعى ليون واوعية لمائدته مصنوعة كلها من الذهب .

(٨٢) وكم قاسى الرهاويون الذين كانوا ينقلون الطعام الى آمد : ولايعرف ذلك الا القائمون بذلك العمل فان ا كثرهم مات بالطريق هم وقطعانهم .

(٨٣) وقد مات يوحنا الفاضل اسقف آمد قبل أن يعسكر الفرس بها فصمد ابناء الا كليروس الى القديس ، المحب لله ، والمزين بكل جمال الالوهية ، القوى البارع مارفلافيان بطرق أنطا كية لـكى يعين لهم قسيساً :فعاملهم باحترام كل الايام التى مكثوها هناك وبعد ذلك هرب من الاسر نونوس الفاضل رئيس خدم كنيسة آمد :وطلب رجال الا كليروس البطرق فعينه اسقفا لهم : وحينما رسم الفاضل نونوس رئيسا للـكهنة أرسل توماس مساعد اسقفيته الى القسطنطنية ليحضر الامديين الذين هناك ويطلب مساعده من الملك فتآمر معه الذين كانوا هناك وطلبوا من الملك بان يكون توماس نفسه اسقفا لهم فتقبل الملك رجاءهم وارسل للبطرق بالا يضغط عليهم وعين لهم الأسقف الذى طلبوه : ووهب الملك والبطرق هدايا لـكنيسة آمد وذهبا كثيرا ليوزع على الفقراء لذلك تجمع هناك كل هؤلاء الذين يتجولون فى اماكن أخرى ويخرجون اشلاء الموتى من آمد وتسلموا ماخصص لهم :

(٨٤) فى نفس السنة بعد أن توقفت الحرب أصبحت الحيوانات المفترسة ا كثر توحشا ضدنا . وبسبب كثرة أشلاء القتلى الذين سقطوا فى الحرب استساغوا أ كل اللحم

الآدمي وعندما تعفنت جثث القتلى واختفت دخلت الحيوانات المفترسة القرى وخطفت الأطفال واكلتها كذلك هاجمت الرجل المنفرد فى الطرقاب واهلكته وهكذا كانوا خائفين حتى أنهم فى وقت درس الحنطة لم يوجد رجل فى المنطقة باكملها يبيت فى جرنة بغير كوخ خوفا من الحيوانات المفترسة ولكن بمساعدة الرب الذى يرعانا فى كل الاوقات ومن كل المصائب يحمينا برحمته سقط بعضهم فى ايدى القرويين وطعنوهم وارسلوا اجسامهم ميته إلى الرها كما أمسك الصيادون بعضهم وقيدوهم واحضروهم احياء فرآهم كل الناس وشكروا الله الذى قال . «ولتكن خشيتكم ورهبتكم على كل حيوانات الأرض»(١) فمن أجل خطايانا أرسلت علينا الحرب والمجاعة والطعون والاسر والحيوانات المفترسة ونكبات أخرى مكتوبة وغير مكتوبة انقذنا منها بطيبته .

(٨٦) كذلك أنا – الرجل ضعيف القوة – قد تقويت برحمته بسبب صلواتك حتى أننى أكتب – على قدر استطاعتى – هذه الأشياء التى حدثت كتذكرة لهؤلاء الذين كابدوها وكإرشادات لهؤلاء الذين سوف يأتون بعدنا إن أرادوا بكتابتى القليلة هذه أن يكونوا عقلاء وما ترك أكثر مما كتب . فمن ذلك الذى كتبت ومنذ البداية قلت أننى لست بمحصيها لأن المعاناة التى تحملها كل واحد على حده إذا سجلت كونت قصصا طوالا ولم يكف لها مجلد كبير . ولتعلم أن من تلك (الأشياء) الأخرى المكتوبة أن هؤلاء الذين جاءوا لمساعدتنا باسم المخلصين – فى نزولهم وصعودهم تقريبا – نهبونا كالأعداء . وقد أنزلوا فقراء كثيرين من أسرتهم وناموا بها بينما نام أصحابها فى العراء فى الجو البارد كما طردوا وأخرجوا آخرين من بيوتهم ودخلوا هم وعاشوا فيها وأخذوا بالقوة بعير الآخرين وكأنهم سبى مقاد وخلعوا

---

(١) تكوين ٩ : ٢

ملابس البعض عن أجسامهم وأخذوها وضربوا البعض بوحشية لأتفه الأسباب ـ وتشاجروا فى الأسواق مع آخرين وكانوا يأسرونهم من أجل سبب بسيط . وكانوا ينهبون علانية كميات الغذاء القليلة لكل واحد والمئونة التى خزنها البعض فى القرى والمدن وانقضوا على كثير من الطرق العامة ولأن بيوت وفنادق المدينة لم تكن كافية لهم كانوا يبيتون مع العمال فى حوانيتهم وتسلطوا على كل النساء فى الأسواق والبيوت أمام أعين كل الناس وأخذوا من المسنات والأرامل والفقراء الزيت والخشب والملح وأشياء أخرى لاستعمالهم الخاص ومنعوهم من أعمالهم لكى يخدموهم وباختصار فقد اضطهدوا كل واحد من الكبير إلى الصغير ولم يبق أحد لم يقاس من أذاهم كذلك حكام البلد الذين نصبوا ليحافظوا على النظام ويفضوا نزاعاتهم مدوا أيديهم للرشاوى . وقد أخذوها من كل واحد ولم يتركوا أحدا ولكن بعد بضعة أيام أرسلوا إلى هؤلاء الذين خرجوا عليهم من قبل كما نزلوا على القسس والشمامسة مع أن لديهم أمرا من الملك بألا ينزلوا عليهم ولكن لماذا أتعب نفسى فى تسجيل أشياء كثيرة لم يستطع تسجيلها من هم أعظم منى .

(٨٧) عندئذ ومن بعد أن عبر نهر الفرات ناحية الغرب ذهب الحاكم إلى الملك واريوبندوس إلى أنطاكية وفطريقيوس إلى ملطية(١) وفرزمان إلى أفاميا(٢) وتيودور إلى دمشق

---

(١) ملطية شمال حلب إلى الشرق ، قاعدة بلاد الثغور ، وقد عدها ابن حوقل من جملة بلاد الشام وقال إنها من قرى بلاد الروم . قال صاحب حماة : والأليق عدها من بلاد الروم ، ثم قال وعدها بعضهم من الثغور الجزرية ، وكانت قديمة فخربتها الروم ، فبناها أبو جعفر المنصور فى سنة ١٨٩ هـ وجعل عليها سورا محكما ـ وهى فى شمال الجبل المائر بسيس فى غربية فى الجنوب عن سيواس وفى الغرب عن كمخا (القلقشندى : صبح الأعشى ج٤ ص ١٣١ ـ ١٣٢) .

(٢) أفامية : بحيرة . وهى عدة بطائح فى الغرب بين غابات من القصب ويصب فيها النهر العاصى من جهة الجنوب ، وبها بحيرتان جنوبية وشمالية يصاد فيهما السمك

وكاليو إلى منبج وأصبح متنفس قليل بالرها وفرح بهذا من بقى بها من الناس وشغل الحاكم ايوجلوس نفسه باعادة بنائها وأعطاه الملك مائتى رطل من (الذهب) لنفقات البناء . وبنى وجدد السور الخارجى الذى يحيط بالمدينة وجددوأعاد إصلاح مجرى المياه التى تنبع من قرية تل زيعا ومن مودد (١) وبنى وأكمل الحمام العام الذى سقط كذلك جدد قصره وبنى الكثير فى كل المدينة كما أعطى الملك للأسقف عشرين رطلا (من الذهب) لنفقات ولتجديد السور . وعشرة أرطال للمؤمن أوربيكيوس بيتا للشهداء (باسم) القديسة مريم أما الزيت الذى كانت تمون به الكنائس والأديرة من مخزن الزيت قد بلغ ٦٨٠٠ قسط فقد أخذه الحاكم منهم وأمر بأن ينار فى أروقة المدينة ولم يقبل توسلات السدنة بخصوصه وحتى لايظن أنه يحتقر الكنائس التى تبنى للرب أعطى ممتلكاته لكل بيت للشهداء مائتى قسط . وحتى تلك السنة كان يباع القمح أربعة مدود بدينار والشعير ستة والخمر كيلان وبعد هذه الأسباب الجديدة بيع ستة مدود من الحنطة بدينار والشعير عشرة .

(٨٨) عندئذلم يهدأ عرب الفرس أو يرتاحوا ولكن عبروا إلى مقاطعة الروم بدون الفرس وسبوا قريتين وحينما علم بهذا مرزبان الفرس — الذى كان فى نصيبين — أخذ رؤساءهم وقتلهم كذلك عبر عرب الروم بغير أوامر إلى مقاطعة الفرس وسبوا مزرعة . وعندما بلغ ذلك الحاكم ، وكان قد نزل فى نهاية هذه السنة إلى أفاميا ،

= فالجنوبية منهما بحيرة أفامية المذكورة ، والبحيرة الشمالية من حصن برزوية بقدر بحيرة أفامية أربع مرات وينبت اللينوفر بجانبها الجنوبى والشمالى وبينها وبين بحيرة أفامية المذكورة زقاق تسير فيه المراكب من أحدهما إلى الأخرى المرجع السابق ص ٨٤

(١) تل زيعا ومودد قريتان فى شمال الرها .

أرسل له تيموستراتوس حاكم الرقة فأمسك خمسة من رؤساءهم وقتل اثنين منهم بالسيف وصلب ثلاثة على الخشب ، عندئذ رحل فارزمان من أفاميا بعد أن نزل الحاكم إلى هناك ، وجاء وعسكر فى الرها وتسلم أمرا من الملك بأن يكون قائدا بدلا من هيباتيوس .

(٨٩) وقد بنى وجدد سور قلعة بطنان فى سروج — الذى سقط ودمر كله — بعناية أولوجيوس حاكم الرها وغطى القسيس الطيب أدوسيوس بالنحاس أبواب بيت الرجال فى كنيسة الرها .

(٩٠) سنة ٨١٧ (٥٠٥/٦ م) عندئذ أبلغ قواد جيش الروم الملك بأن حدث ضرر بالغ للجيوش من عدم وجود مدينة لهم على الحدود إذ حينما يخرج الروم من تلا أو آمد ليطوفوا فى غزوات بين العرب يكونون فى خوف حينما يحاولون من غدر الأعداء . وإذا تقابلوا مع جيوش أكبر منهم وحاولوا التفكير فى العودة إلى مكانهم تحملوا تعباً كبيراً لعدم وجود مدينة بالقرب منهم يختبئون فيها لذلك أمر الملك بأن يبنى سور لقرية دارا الواقعة على الحدود واختير عماله من سوريا كلها ونزلوا هناك وبنوه لها عندئذ خرج الفرس من نصيبين وأوقفوهم ولهذا رحل فارزمان من الرها ونزل وعاش فى آمد وكان يذهب إلى البنائين ويساعدهم كما كان يقوم برحلات صيد للحيونات وخاصة الخنازير البرية التى كثرت هناك وكان يصيد منهم أكثر من أربعين فى يوم واحد . وكبرهان على براعته أرسل منها إلى الرها أحياء ومقتولين .

(٩١) أما الطيب سرجيوس أسقف برتاقسطرا (١) — الذى يعيش بالقرب

---

(١) تقع هذه البلدة على نهر الفرات ولذلك فهى ربما تكون مدينة بير أو بيرجيك التى جاء ذكرها من قبل .

منا على نهر الفرات فقد بدأ فى بناء سور لمدينته وأعطاه الملك ذهبا ليس بالقليل لنفقاته ، كما أمر الحاكم ببناء سور لجرباس التى تقع غرب النهر فى مقاطعة منبج واشتغل فيه أبناء المنطقة على قدر استطاعتهم .

(٩٢) وبعد أن نزل فارزمان إلى آمد جاء مكانه القائد رومانوس وأقام فى الرها هو وجيشه ومنح الفقراء صدقات كثيرة أما الملك فقد زاد على كل الحسنات فى هـذه السنة وأرسل تنازلا عن الضرائب لـكل مابين النهرين وابتهج كل ملاك القرى وشكروا الملك .

(٩٣) وقـد تذمر معظم الشعب وصاحوا قائلين ما كان يجب على النوطيين أن يسكروا عندنا بل يسكروا عند أصحاب القرى لأنهم قد انتفعوا بهذا التنازل . عندئذ أمر الوالى بأن يلبى طلبهم وحينما بدئ فى تنفيذ هـذا اجتمع كل عظماء المدينة عند القائد رومانوس وطلبوا منه قائلين : فتأمر فخامتك ماذا يجب أن يأخذ كل واحـد من النوطيين فى الشهر وإلا فعندما يدخلون بيوت الأغنياء ينهبونها كما نهبوا العامة فقبل طلبهم وأمر بأن يأخذوا قدر زيت فى الشهر ومائتى رطل من الخشب وسريرا ومخـدة لـكل اثنين منهم .

(٩٤) فلما سمع النوطيون هـذا الأمر أسرعوا إلى القائد رومانوس فى بيت برسا (١) ليقتلوه وبينما هم يصعدون درج مسكنه سمع صـوت ضوضائهم وزجرتهم وأدرك ماذا يريدون عمله فلبس درعه بسرعة وحمل

---

(١) كان للرها أسقف يدعى بهذا الإسم .

أسلحته واستل سيفه ووقف عند الباب العلوى للمنزل الذى حلوا به ولم يقتل أحدا من القوطيين ، ولكن ظل ملوحا بسيفه ومنع الاوائل الذين صعدوا من الدخول عليه أما هؤلاء الذين تحت فكانوا يزعمون - وهم فى غضبهم - الذين فوق أن يصعدوا ويقتحموا عليه ولتعلم محبتك أنه قد هجم عليه جم غفير بواسطة الدرج . ولما لم يستطع الاولون الذين صعدوا أن يدخلوا خوفا من السيف والذين وراءهم يضغطون عليهم فثقل بذلك الدرج كثيرون وبسبب الثقل انكسر ووقع عليهم فمات قليل منهم ولكن كسرت أطراف الكثيرين وشوهوا ولم يشفوا ثانية وقد سحق فرصتفو ومانيوس بسبب هذه الحادثة فهرب فوق السطح من بيت إلى آخر واختفى . وبعد ذلك لم يقل لهم شيئاً لذلك ظلوا حيثما كانوا يعملون ما يحلو لهم لانه لم يوجد من يردعهم أو يكبح جماحهم أو ينذرهم .

(٩٥) ومرض كل هذا التام استقفاتار بطرس مرضا قاسياً وخطيوا ، ثم فى شهر نيسان (أبريل) ازداد الشكرب مرة أخرى على مدينتنا . عندئذ جمع الحاكم كل جيشه وقام لينزل الى مقاطعة الفرس ليقيم ويجدد معهم معاهدة السلام وحينما دخل الرها جاء اليه رسل الفرس واخبروه بان قائد الجيش الذى حضر ليقابله ويعقد معه السلام قد مات وتوسلوا اليه قائلين : أن صح أنه نزل للسلام فلا يعبر الرها حتى يرسل قائد آخر من قبل ملك الفرس فتقبل رجاءهم وظل فى الرها خمسة أشهر . ولما كانت المدينة غير كافية للقوطيين الذين كانوا امعه فقد عسكروا كذلك فى القرى وفى كل الاديرة الكبيرة والصغيرة التى حول المدينة حتى هؤلاء الذين كانوا يعيشون فى وحده لم يتركوا ليعيشوا فى الهدوء الذى يتمنونه لانهم نزلوا أيضا فى أديرتهم .

(٩٦) وهكذا أصبحوا شرهين فى المأكل والمشرب لانهم من اليوم الأول الذى جاءوا فيه لم يأكلو على نفقتهم حتى أن البعض الذين كانوا يتمتعون فى البيوت العالية

خرجوا فى الليل فاقدى الوعى من كثرة الخمر ووقعوا فى مكان خال وانبطحوا فى الأعماق ورحلوا عن الحياة بنهاية سيئة وآخرون بينما كانوا يجلسون ويشربون غرقوا فى سبات ووقعوا من المنازل العالية وماتوا فى أماكنهم . وآخرون ـ على اسرتهم عانوا من الاكل الكثير . وصب آخرون ماء مغليا فى آذان هؤلاء الذين يخدمونهم لاسباب تافهه. والآخرون الذين ذهبوا إلى الحدائق ليأخذوا خضرا قتلوا البستانى ـ حينما كان يهم بمنعهم من أخذها ـ بسهم ولاثأر لدمه وآخرون ظلوا ـ بينما وقاحتهم تزداد ـ ولا أحد يمنعهم . والذين نزلوا عليهم تعاملوا معهم بحصافة كبيرة وفعلوا كل ماراق لهم ولما لم يعطوهم الفرصة لكى يسيئوا اليهم غلبوا بغضبهم وقتل بعضهم البعض على أنه كان بينهم آخرون عاشوا بنعومة لاتغيب عن معرفتك فمن غير الممكن الا يوجد مثل ذلك فى هذا الجيش الكبير . أما سيئات الاشرار فقد ازدادت سوءاً حتى أن الخاطرين الذين كانوا فى الرها أقدموا على عمل ما كان يجب عليهم أن يعملوه فقد سجلوا على قصاصات من الورق شكاوى ضد الحاكم وثبتوها سرا فى الاماكن المعروفة فى المدينه . وعندما سمع لم يغضب ـ كما كان يجب ـ كما لم يتعقب من فعل هذا ولم يفكر بالحاق الاذى بالمدينة لطيبته ولكنه تحمل كثيراً ليسود الهدوء الرهاسريعا ،

(٩٧) سنة ٨١٨ (٧/٥٠٦ م) عندئذ قاد الحاكم جيشه كله ونزل إلى الحدود وجاء اليه رسول الفرس فى مدينة دارا ومعه الرهائن التى أرسلها القائد وأخبره بأنه أن أراد أن يقيم السلام فليرسل هو ايضا الرهائن فى مقابل هؤلاء الذين أخذهم ثم بعد ذلك يتقابل الطرفان بود ويقابل كل الآخر مع خمسائة فارس غير مسلحين ويجلسون فى اجتماع ويتفاوضون فيما يجب عمله . فوافق على طلبهم وأرسل الرهائن ونزل غير مسلح لمقابلة القائد فى اليوم المحدد. ولأنه كان خائفا من ان تحدث خيانة مامن الفرس أوقف كل جيش الروم تجاههم مسلحين وعين لهم علامة وأمرهم بان يأتوا

اليه مسرعين إذا رأوا هذه الملامة . وعندما جاء القائد لمقابلته وجلس فى الاجتماع مع هؤلاء الروم وكل القواد الذين معه لاحظ واحد من جنود الروم أن كل هؤلاء الذين جاءوا مع القائد يلبسون سلاحا من الداخل . فاخبر بذلك فارزمان رئيس الجند والقائد تيموستراتوس . فاعطى هؤلاء الملامة للجيوش . وفى الحال صرخوا وجاءوا إليهم فسجنوا القائد والذين معه بينهم أما الجيش الذى كان فى معسكر الفرس فحينما علم بأن القائد هو ومن معه أخذوا سجناء هربوا من خوفهم ودخلوا نصيبين عندئذ أراد الروم أن يقتلوا القائد والذين معه ولكن الحاكم طلب منهم الا يوجدوا فرصة للحرب فيمدوا السلام فقبلوا بعد لأى واستمعوا اليه وتركوا القائد والذين معه يخرجون من بينهم من غير ايذاء لانه حتى فى وقت انتصارهم كان قواد الروم ينشدون السلام . وعندما عاد القائد إلى معسكره ورأى ان الفرس قد دخلوا نصيبين خاف أن يظل وحدة فدخل اليهم واجبرهم على الخروج معه من المدينة ولكنهم من خوفهم لم يستطيعوا الخروج وحتى لايظهر خوفهم للروم أرسل القائد واحضر اخته إلى نصيبين وكعادة الفرس اتخذها زوجة وعندما أرسل اليه الحاكم بانه لن يؤذيك أحد حتى وأن خرجت بمفردك رد عليه قائلا : انى لم اخرج خوفا ولكنى استكمل أيام الزفاف وبالرغم من أن الحاكم علم بالموضوع كله ألا أنه تغاضى عنه تماما وكأنه لايعلم .

(٩٨) وبعد بضعة أيام عندما خرج إلية القائد سلم للفرس — حبا فى السلام — كل الأشياء التى طلبوها وعقد معهم اتفاقا وأقام السلام . وكتبوا عهودا بينهم وحدد وقت لاتشن فيه حرب بينهم ففرحت كل الجيوش وابتهجت بالسلام الذى أقيم .

(٩٩) وبينما كانوا على الحدود استقبل الحاكم كلير وكاليوبيوس خطابات من الملك انستاس مليئة بالعناية والرحمة على كل بلاد ما بين النهرين وكتب لهم هكذا : أن

وجدوا أن الأجدر أن ترفع عنهم الجزية فلهم الحق فى رفعها بدون تأخير . ففكروا بأن ترفع الجزية كلها عن الآمديين ونصفها عن الرهاويين وأرسلوا وأعلنوا ذلك في الرها . وبعد فترة قصيرة أرسلوا خطابات أخرى عن السلام الذى أقيم .

(١٠٠) وفي الثامن والعشرين من شهر تشرين الاخر (نوفمبر) قاد الجيش كله وصعد من الحدود وعندما وصل الحاكم إلى الرها قرر ألا يدخلها بسبب تقلبهم عليه. ولكن توسل إليه ابن جداد المبارك أسقف تلا ألا يسمح الغضب بأن يتسلط به وألا يترك من بعده حزنا أو انزعاجا لأحد فقبل توسلاته عن طواعية . وخرج كل الرهاويين بابتهاج كبير ليقابلوه يحملون شموعا من الكبير إلى الصغير كما خرج معهم كل رجال الدين وأعضاء المذاهب الدينية والرهبان ودخلوا المدينة بفرح عظيم . وبدأ الجيش كله — في نفس ذلك اليوم — في السفر . أما هو فقد بقى ثلاثة أيام وأعطى الحاكم مائتى دينار لتوزع كهدايا وبينما فرح سكان المدينة بالسلام الذى أقيم وابتهجوا بالإعفاء الذي سوف يتمتعون به بعد الاضطهاد الذي كانوا فيه ورقصوا طربا بأمل الأشياء الطيبة التى توقعوا مجيئها حمدوا الله الذي بطيبته ورحمته قد أسبل السلام على المملكتين . وقد رافقوه أثناء رحيله بالأغانى التى تناسبه هو ومن أرسله .

(١٠١) وإن ظهر هذا الملك بمظهر مختلف فى نهاية حياته فلا (تدع) أحداً

يستاء من شكره ولكن (دعه) يتذكر الأشياء التى عملها سليمان فى نهاية حياته وقد كتبت هذه الأشياء القليلة من الكثير — على قدر استطاعتى — وذلك لمحبتك راغبا وغير راغب . أما من حيث أننى غير راغب فذلك لكى لا أغضب العالم الحكيم الذي يعرف هذه الأشياء أكثر منى وأما من حيث أننى راغب فمن أجل إطاعة أمرك .

والان أتوسل إليك أن توفى بالعهد الذى يشتمل عليه خطابك وهو أن تقدم للرب صلات دائمة على خطاياى . وسوف تكون عنايتى بأن أشبع رغبتك ، وكل مايحدث فى الزمن المقبل ويستحق التسجيل فسوف أكتبه وأرسله إلى أبوتك مابقيت حيا . فلأصل من هذا المكان . وأبوتك من هناك وكل الناس من كل مكان لتكون كلمة التاريخ عن التحول الكبير الذى يحل بالعالم فلن نكون كافين لكتابة هذه الأشياء كما حدثت فى هذه الأزمان السيئة بسبب محنها الكثيرة كذلك ربما نكون غير قادرين على أن نقص عن تلك التى ستأتى بسبب كثرة محاسنها وقد تكون كلماتنا أضعف من أن تعبر عن الحياة السعيدة لأبناء مدينتنا ، وعن الهدوء والسلام الذى سوف يحكم العالم وعن الخصب الوفير الذى سوف يكون وعن وفرة المحصول بسبب بركة الرب الذى قال (١) : « لأن الضيقات الأولى قد نسيت ولأنها استترت عن عينى »

له المجد إلى أبد وإلى الأبد آمين

(١) أشعيا : ٦٥ : ١٦ :

Ioshua the Stylite.

1 — W. wright, the chronicle of Joshue the Stylite, composed in syriac A.D. 507, with a translation into English and rotes, cambridge, 1882.

2 — Paulin Martin. chronique de Josué le stylite. ecrite vers l'an 515, texte et trad, dans les Abhandlunrgen für die kunde des Morgenlandes, herausgegeben Von des deutschen Morginlandischen fesellschaft, VI Band: No 1, Leiprig. 1876.

3 — F. Nau, Analyse des Parties inédites de la chronique attribuée à Denys de Tellmahré, 1898, P. 12, extrait du supplément de l'arient chrétien, 1897, II : 4I—68.

4 — F. Nau, Bulletin critique, 25 Janvier I847, P. 54-58

5 — Assemani, B.O., I: 260—283.

6 — Wright. Syr. Lit, P.77.

7 — Duval, Litt, Syr. P. I87.

8 — Baumstark, Syr. Litt. P. I46.

9 — F. Haase, D. chronik de, Josua Stylites, in Oriens christianus IX : 62—73.

10 — Näldeke, Lit zentralblatt, I898.